15me Année No. 708

Lundi — 27 — 1 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ٢٧ يناير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

رحم الله أُودلف هتلر !

رب يوم بكيت فيــه فلما صرت فى غيره بكيت عليه !

كان هتلر — سقى الله ضريحه إن كان له ضريح — رجلا صحيح النية صريح الرأى يقول لنفسه المكروبة بعد ما أحال النظر فى معاهدة فرساى: نحن جياع وفى رءوسنا الفكر، وفى صدورنا العلم، وفى أيدينا العمل؛ والآخرون شباع وفى رءوسهم السكر، وفى صدورهم الحقد، وفى أيديهم السرقة؛ فما الذى أجاع العالم وأشبع الجاهل، وأفقر العامل وأغنى المحتال؟

وفى ساعة من ساعات التجلى، وفى حانة من حانات (ميونيخ) أُلقى عليه الجواب أن الذى أسغب هنا وأتخم هناك، إنما هو رأس المال! ورأس المال لفظ معناه اليهود وسماسرتهم من هذه الطفيليات التى تعيش على دم المجتمع كما يعيش البعوض والقمل على دماء الناس. فإذا قُطعت (رءوس الأموال) قُطعت الألسنة التى تكذب، والأيدى التى تسرق، والأسباب التى تفرِّق. وعلى ذلك حكم المرحوم بالإعدام على وايزمان وربنو وتشرشل! ولو شاء رب السلام للأرض والوئام للناس لما نقض هذا الحكم روزفلت واستالين. ولكنه لأمر يريده قضى أن يُشنق القاضى ويُطلق المجرم! ولو كان فى قدر الله أن يكون هتلر قاضى (نورمبرج) لما كان لفلسطين قضية، ولا للسودان مشكلة، ولا فى شمال أفريقية مأساة، ولا فى الهند الصينية مجزرة.

مَن هؤلاء الملقون بجُثثهم على موارد المسلمين فى مراكش والجزائر وتونس وطرابلس، يخضمون أرزاقهم خضمَ الخنازير، ويحتلون بلادهم احتلال الصراصير، ويفسدون أخلاقهم إفساد الأرَضة؟ ومَن هؤلاء الوالغون فى النيل الطَّهور من منبعه إلى مصبه، يسممونه بالجرائم، ويكدّرونه بالشوائب، ويحرّشون على أهله التماسيح والأفاعى؟ ومَن هؤلاء الجاثمون على صدور العرب فى فلسطين والعراق، يُبيحون العدو ذمارهم، ويمنحون الغريب ديارهم، ويتصرفون فى شؤونهم تصرف القيم السفيه؟

هم الفرنسيون طلقاء الحلفاء، وعتقاء القدر الذين يزعمون أنهم أعلنوا حقوق الإنسان، وأقاموا صروح الحضارة، وعبّدوا طرق الثقافة، وورثوا اليونان فى الآداب والرومان فى القوانين!!

وهم الانجليز أموات دنكرك وأحياء العلمين وصنائع الحظ الذين لا يزالون يتبجحون بأنهم رسل الحرية وجنود الديمقراطية ومنقذو العالم من طغيان نابليون وغليوم وهتلر.

فليت شعرى متى تنكشف أغشية الغرور عن قلوب هؤلاء المساكين فيعلموا أنهم لم ينتصروا، وأن خصومهم النازيين لم ينكسروا؛ إنما انتصر الضمير الإنسانى فلن يجوز عليه خداع، وانهزم الروح الاستعمارى فلن يغنى عنه بعد ذلك دفاع!

وما أجدر الذى يتنكر اليوم لمصر الكريمة أن يعرف أن الفَلك لا يجرى بأمره، وأن البحر مهما ارتفع مدّه فلا بد من جَزْره!!

احمد حسن الزيات

مصر هى السودان

للأستاذ محمود محمد شاكر

دخلت المسألة المصرية السودانية فى ساعة حاسمة لا بد فيها من العمل والتسديد والحزامة والتصميم ، وأصبح لزاماً على أهل الرأى ورجال السياسة أن ينزعوا الخوف من قلوبهم ويطرحوا التردّدَ جانباً ، ويقبلوا على المعركة مستبسلين لا يخافون . وقد صار أمر مصر والسودان إلى مصير ليس فى تاريخ مصر والسودان أسوأ منه ، فكل نكول عن أداء الواجب وعن التنبيه والتحذير خيانة لوادى النيل لا يغتفرها لنا آباؤنا ولا أحفادنا من بعدنا .

وإذا أضعنا اليوم حق مصرَ والسودان علينا ، فقد ضاع كلُّ ما ترجوه بلادُ العرب والمسلمين من أطراف الصين إلى أقاصى المغرب الأقصى ، وإذا الفرصة السانحة قد أفلتتْ من يد هذه الأمم إلى غير رجعة . فمسألة مصر والسودان ليست إذن مسألة مفردة برأسها بل هى أمّ المسائل العربية والشرقية جميعاً ، وموقفنا حيالها هو المحكّ لكل ما يرجوه الشرق ويؤمله .

بيد أن مسألة مصر والسودان قد أصابها من البلبلة على مر السنين الطوال ما يُخشى معه أن يدعَ للعدوّ منفذاً يتدسّسُ منه إلى إحداث الفرقة والتنابذ ، وقد بدا شىءٌ من آثارها فى العهد الأخير بعد أن استطاعت الدولة الخدّاعة أن تستميل قلوب نفر من أهل المطامع ورجال السوء فى السودان وغير السودان . فلا بُدّ إذن أن نبدئَ ونعيدَ فى بيان الحقيقة التى لا تطمس نورها الأكاذيب الملفّقة ، ولا يُطفئ رونقها طول الإهمال والترْك . وإنا لنأسف أن قد مضى على كبار ساستنا زمانٌ وهم يظنون أن علاج المسألة المصرية مفصولة عن السودان هو الطريقُ إلى نيل الحق من غاصب وادى النيل ، فأصبح الناس وإذا هم يرون ضلال الساسة النابرين فى بتر قضية وادى النيل وشطرها إلى شطرين سموها باسم المسألة المصرية والمسألة السودانية . ولو هم عملوا منذ ولاّهم الله سياسة هذه الأمة ، على أن القضية واحدةٌ ، وتجزئتها مفسدة للجزءين كليهما ، لسار تاريخ مصر والسودان غير هذا السير الخبيث الذى ساقتنا بريطانيا فى سراديبه المضلة المظلمة .

إن الجزء المسمى بمصر من هذا النيل المنحدر من منابعه إلى مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ، جزءٌ يسيرٌ من مجرى هذا النيل ، وهو واقع فى صحراء جرداء لولا هذا الجزء من النيل لاتّصلت رمال الجانب الشرقى والجانب الغربى من الصحراء وتصالحت على مسيله . وهذا الجزء الخصبُ بمدّ النيل ، خط ضيق محصور أكثره بين الجبال والرمال ، ولا يرجو أهله منه خيراً إلا باسم النيل وبماء النيل وبركة النيل . فإذا حبس النيل ماءه أو منع بركته ، أو وُجد على الجزء الجنوبى منه (وهو السودان) من يحبس ماءه ويمنع بركته ، انقلبت هذه الأرض المصرية نقمة على أهله وشراً وبلاء . والتاريخ يحدّث منذ قديم الأزمان بأنه ما امتنع ماء النيل أو قلّ إلاّ حدثت فى مصر المجاعات والقحوط التى أهلكت الحرث والنسل ، حتى اضطُرّ أهل مصر فى كثير من أزمان القحط أن يأكل الرجل لحم أخيه وولده من شدة المتربة التى حاقت بهذا البلد الخصيب . فالنيل هو كل شىء فى بلدٍ لا تمطره السماء إلا غبًّا ، وليس فيه ما يُغنى أهله عن أن يجعلوا مادة حياتهم وأرزاقهم مما تخرجه الأرضُ التى يكدحون فى زراعتها كدحاً شديداً ، والتى لا تنفع فيها زراعة إلا إذا استوفت حظّها من ماء هذا النيل .

وقديماً قامت فى هذا الجزء الأدنى من النيل أممٌ وحضارات لا تزال آثارها باقية إلى هذا اليوم ، وكان أولى بقيام هذه الأمم والحضارات الجزء الأعلى وهو السودان ، لولا أن أهل الزمن الماضى فرّوا من وقدات الشمس المحرقة فى السودان إلى هذا الجزء الأدنى فأقاموا الحضارات على حفافيه ، ولكنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم مطمئنون إلى أن الجزء الأعلى ليس فيه دولة قائمة يمكنها أن تردّ هذا النيل عن مجراه إلى قرارة هذا الوادى الذى سُمى « مصر » . ولو كان هنالك شىء مثل ذلك لرأينا ، كما رأينا فى شأن الوجه القبلى والبحرى ، رجالا ينصبون أنفسهم لضمّ الشمال إلى الجنوب وتوحيدهما حتى لا يكون فى الأرض الواحدة دولٌ متقسّمة يناوئ بعضها بعضاً ، فلا تقوم لواحدة منهما قائمة ، ولا يكون لواحدة منهما مجدٌ أو حضارة أو تاريخ .

وبذلك بقى النيل الأعلى (السودان) فى سَلْم دائمة ، إذ لم تكن فيه دولة مناوئة ، وبقيت صلته بمصر كصلة أى بلدٍ من بلاد الدنيا

يكون في أرضها جزء متروك لم يُعمر بالهجرة أو الاستصلاح أو الاستثمار . وهذا الترك لا يدلّ على اقتطاع هذا الجزء ، بل على أن الحاجة لم تدفع بعدُ إلى استصلاحه أو استثماره . هذا هو التاريخ القديم في العلاقة بين جزئي النيل « مصر والسودان » .

ومضى التاريخ على هـذا إلى أن جاء العصر الأخير ، فقام شمال النيل « مصر » ليضم الجنوب « السودان » ، كما قام الشمال من أمريكا لضم الجنوب إليه ، وكما قام جزء من بريطانيا نفسها ليضمّ إليه بلاد الغال وأرض أسكتلندة . ولو بقي شمال أمريكا منفصلاً عن جنوبه ، وبقيت بلاد الغال وبلاد أسكتلندة على أحوالها التي كانت عليها منذ قرون ، لما كان في الدنيا شيء يسمى الولايات المتحدة ، ولاشيء يسمى بريطانيا . وإذن فضمّ السودان إلى مصر بالحرب لا يمكن أن يسمى «فتحاً» بل هو ضمٌّ فحسب فلذلك يخطىء بعض الساسة الذين يحتجون في المسألة المصرية السودانية بهذا الشيء السخيف الذي يسمونه « حقّ الفتح » . وكل ماهنالك هو أن هذا الجزء المتروك من أرض مصر أو أرض السودان — كما تشاء — كان لا بد في ضمه من بعض الحرب حتى تستقر الحال ويستتبّ النظام ، كما حدث في كل بلاد العالم منذ أقدم عصور التاريخ ، في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وهذا شيء بديهيٌّ لا يحتاج إلى زيادة .

ويتبع هذا الخطأ في الاحتجاج بحق الفتح خطأ آخر أقبح منه ، وهو احتجاجُ من يحتجُّ بمـا أنفقت الأرض الشمالية على الأرض الجنوبية من الأموال ، وهذا أيضاً فاسدٌ كل الفساد . فـكل دانق أنفقته مصر في السودان هو حق السودان على مصر ، كحقّ أي قرية في أرض مصر ، وكحق كل شارع أو مديرية . فينبغي إذن أن ننفي من احتجاجنا كلَّ شيء يسمى نفقات أنفقت في السودان ، فإن كل ذلك هو حق السودان الذي إذا قصّرنا في أدائه وجب عليه أن يطالبنا به بالكلام أو بالسيف أو بكليهما . ومن المؤلم أن يكون هذا الأسلوب الذي جَرَى ولا يزال يجرى على ألسنة بعض الساسة ، هو خديعة بريطانية قديمة لم نزل نتزلق في مداحضها ونزلّ ، حتى كادت تكون نكبة عقلية المُتْ بهؤلاء الساسة .

فلا بد إذن من وضع هذه الحجج حيث ينبغي أن توضع في زوايا الإهمال ، وأن ينظر الساسة إلى الحق الطبيعي الذي يجب لمصر على السودان ، والذي يجبُ للسودان على مصر ، وأنا أقدّم فأقول إن حق السودان على مصر هو الأصل ، وهو الحق الأعظم ، وهو الحق الذي لا يمكن مصر مهما بلغت من قوة ومجد وحضارة أن تتنصّل منـه أو تتبرأ ، فإذا فعلت ، فذاك هلا كها وضياعها في هذا العصر وإلى الأبد البعيد .

إن السودان كما كان قديماً ، وكما هو الآن ، هو حياة الأرض التي تسمى باسم « مصر » ، فزراعتها وتجارتها ومالها وأهلها وتاريخها وحضارتها ، كل ذلك فضلٌ أتى به النيل . والنيل فيما بعد أسواره إلى منابعه واقع في الأرض التي تسمى السودان ، فإذا أبى السودان أن يُفْضِلَ على مصر بالقدر الكافي من ماء النيل ، فقد حدثت المجاعات ، وهلكت الزراعة وبارت التجارة وذهب المال واندثرت الحضارات وانطمس التاريخ ، ولم يبق في الدنيا دولة تسمى نفسها الدولة المصرية ، بل مكان في الصحراء يقال له مصر ليس إلا ، مجرداً من كل مانكون به دولة أو أمة . فالحقيقة التي ينبغي أن لا نماري فيها بالمصبية أو الكبرياء هو أن السودان هو سيد هذا الوادي الذي يمدّه النيل بمائه ، وإذن فالسودان هو أحق الشقيقين باسم الدولة ، فإما أن يسمى وادي النيل كله باسم الدولة المصرية برضى أهل السودان ، أو أن يسمى هذا الوادي باسم الدولة السودانية برضى أهل مصر . فهذا هو الوضع الصحيح للمسألة المصرية السودانية .

ومن البيّن الذي لا خفاء فيه أن السودان كَنْزٌ كله ، بمائه ومعادنه وغاباته وحيوانه وكل شيء فيه ، والذي في مصر من ذلك لا يعدل واحداً من ألف من هـذه القوى الطبيعية المكنوزة في أرضه وجباله وسمائه . وهذه القُوَى هي التي تجعل لصاحبها السيادة العليا على الذي يستمدُّ من فضلها . فمصر تستمد من قُوى السودان جزءاً يسيراً وهو المـاء ، وتستمدّه برضى أهل السودان ومسالمتهم وأخوّتهم ، فمن العبث إذن أن تدّعى مصر « سيادة » على السودان ، بل الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن سيادة السودان هي العليـا ، وأن مصر جزء من السودان ، وهو جزء عظيم خصب صالح للاستثمار في الزراعـة وغيرها استثماراً عظيما ، فمن مصلحة السودان أن يُفْضِل المـاء على هذا الجزء لتزدهر زراعته وحضارته ويكون للسودان ذخراً من القوة يضارع القوة التي فيـه . والسودان محتاج إلى هذا

الإفضال لأن المنطقة الصالحة للزراعة فى مصر أعظم وأجدى من المنطقة الواقعة فى الجزء المعروف اليوم باسم السودان . ومن هذا تعرف كيف دبّر الله لهذين الشطرين المظيمين أن لا يجد أحدهما مندوحة تغنيه عن صاحبه ، وتفرض على كل واحد منهما أن يتشبث بصاحبه ، فإذا تنابذا وتنافرا وتدابرا وتقاطعا ، حاق بهما جميعاً ما يحيق بكل أخوين متنابذين متدابرين ، وهو الهلاك والضياع الذى تخاف مغبّته .

وأنا لا أظن أن فى الدنيا شيئاً هو أوضح للعقل السليم من هذا الذى ينبغى أن يكون بين مصر والسودان ، أى الحقوق الطبيعية التى يفرضها وجود هذين الشطرين المتجاورين : شطر لا بقاء له وحده وهو مصر ؛ وشطرٌ هو القوى الكامنة التى تعطى البقاء للشطر الأول ، وذلك هو السودان . والشطر الأول منهما « مصر » هو الذى مهد الله له سبيل القوة والتاريخ والعلم فكان فى الوجود أسبق الشطرين إلى قيام الدولة فيه ، والشطر الآخر باقٍ سا كنٌ قارٌّ ... شيخ وقوررزين لا يفارق خلوته إلا بسبب من العطايا والمنح التى يرسلها إرسالا إلى الشطر الأول ليحيى ويقوى ويكون سلطاناً فى أرضه ، وتاريخاً فى الزمن ، وحضارة فى العالم ، ولكن الشيخ هو سرّ السلطان والتاريخ والحضارة — هو السودان . وذلك حسْبُه .

وقد كتب الله لمصر أن تكون كما هى الآن ، وأن تكون دولة فى الدول لها سلطان ظاهر ولها عمل فى بعض السياسة ، ولها آمال فى تحرير نفسها وتحرير العرب وتحرير الشرق من بُغاة الاستعمار فى أوربة وأمريكا وروسيا ، فكيف يجوز فى عقل عاقل أن تدع أباها الذى يمدها بكل هذه القوة ينخزلُ عنها وينفصل ليقع فى يد الدولة المستعمرة المعروفة فى الناس باسم بريطانيا ؟ إن مصر هى السودان ، ولا مصر بلا سودان ، وإذا كانت إنجلترا نفسها تدّعى أن الهند لازمة لها ، وقناة السويس لازمة لها ، وكذلك روسيا فيما تدّعيه ، وكذلك أمريكا فى دعوى مصالحها فى الأرض والبحر والجوّ ، فكيف يجوز فى عقل عاقل أن يُراد لدولة ترجو أن تكون دولة فى هذه الدنيا العريضة المتراحبة ، وهى ليست إلا خطّا محروماً حظّ الحياة وأسباب البقاء بانفصال السودان المفضل المتكرّم عليها بأسباب القوة التى تمكنها من أن تكون دولة ؟

إن واجبنا اليوم هو أن نموت فى سبيل السودان ، لأن السودان هو حياتنا ، ونحن بضْعَةٌ منه ، فدفاعنا عنه وموتنا فى سبيله هو دفاع الولد البارّ عن أبيه ، والذى لا حياة له ولا عزّ ولا مجد إلا بحياته وعزه ومجده . نحن لا نريد سيادة على السودان بهذا المعنى العامىّ الجلْف ، فإن السودان هو سيّد هذا الوادى ، ولكننا نريد أن تبقى مصر حيّة قوية فى كنف السودان أبينا ومادة حياتنا . إننا لن نفرّط ساعة فى السودان لأن الدولة المصرية ليست شيئاً ، ولن تكون شيئاً فى هذا الوجود إلا بالسودان . ولو أنصف القدَرُ وأنصف الناس ، لكان ينبغى أن تسمى «الدولة المصرية» الدولة السودانية . أما بريطانيا فهى تريد السودان ، لأنها تدرك هذا كله حق الإدراك وتعلم أنها إذا بقيت فى السودان ، تحكمتْ فى حياة مصر كلها ، وزادت عليه ما فى السودان من كنوز لا تزال مطمورة تحت تاريخ الحياة الإنسانية المتقادمة منذ أبعد الآباد . فليحذر السودان ولتحذر مصر ، فإن مصر هى القوة الحقيقية لأهل السودان ، والسودان هو الحياة الحقيقية لمصر . فإذا انفصل أحدهما عن الآخر ماتا كلاهما بين أنياب الوحش الذى لا تشبع نهمته ولا تسكن ضراوته .

محمود محمد شاكر

عدوان على مصر !

للأستاذ على الطنطاوى

[جل الأمر عن المجاملة والهزل ، فدعونا نتكلم بصراحة وجد . .]

يعرض فى مصر الآن فلم اسمه (لبنانى فى الجامعة) ، تظهر فيه الجامعة أولا ببنائها وقبتها حتى لا يبقى عند أحد شك أنها الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول التى فى الجيزة ، وأن الذى يأتى من الوصف إنما هو لها ، هى ، بعينها وأذنها لا لجامعة غيرها وأنها ليست قصة جامعة خيالية ، حتى إذا وثق صاحب الفلم من أنك عرفتها وحققتها ، ساق لك مشاهدها ، وعرض عليك صورها ، فلم تر فيها مظهر علم ، ولا دلائل تهذيب ، لم تر إلا الاختلاط الشائن واللهو المحرم ، والغرام والغناء ، كأن هذا كل ما فى الجامعة ، وكأنها أنشئت لمثله : يجيئها الطالب اللبنانى فيستقبله طالب مصرى ، يأبى واضع الفلم إلا أن يجعله مغفلا كأنه ثالث المضحكين لوريل وهاردى ، وأن يسميه (سونه) ... فلا يمر على التقائه به ثلاث دقائق فقط حتى يعرف به الطلاب فيهتفوا له ، ويقودوه رأساً لا إلى بهو المحاضرات ولا إلى المكتبة ، بل إلى البركة ، مع أنه جاء فى وقت الدرس لا فى وقت اللعب فترى فى بركة الجامعة الطلاب والطالبات بالأجساد العارية ، والعورات البادية ، ثم تبصرهم يعمدون إلى طالبة لابسة ثيابها الكاملة فيحملونها فيلقونها فى الماء ، فإذا خرجت كالقطة المبللة حفوا بها ضاحكين عابثين ، وتمضى المشاهد على هذا النمط لا تظهر غرفة الدرس إلا مرة واحدة ، يدخلها عم الطالب اللبنانى وهو فى الرواية (المضحك) المعروف بشارة واكيم فيقطع على الأستاذ محاضرته ، ويفسد عليه درسه ، ويسخر منه ، ويستخرج ابن أخيه بلا إذن ، لأن عاشقته ... تطلبه ...

ويعرض (الفلم) بيت الطلبة الذى أنشأته الحكومة المصرية بأموالها لإيواء الغرباء من الطلاب ، فاطمأن بذلك آباؤهم فى الشام والعراق والحجاز ونجد والمغرب واليمن ، لأنهم غدوا فيه بأمانة هذه الحكومة فما يخشى المرض على أجسامهم ، ولا الفساد على أخلاقهم ، فلا يجعل بيت الطلبة إلا (ماخورا) فظيعاً ... وترى اللبنانى يدخله فيسقط فى حفرة كان إخوانه احتفروها له ، فينزلون عليه بجماعتهم فينضون عنه ثيابه كلها إلا ما يستر العورة الكبرى ولا يكاد ، وتجيء طالبة ، طالبة فى بيت الطلبة — هل تسمعون أيها القراء ؟ تقبل عليه فيستحى هو ويخجل ، ولا تخجل هى ولا ولا تستحى ، وتجره من يده فتلبسه من ثيابها ... فيستنوق الجمل ، ويتأنث الرجل ، ثم يجلسان على مائدة الشراب والغزل ، والطلاب ينظرون ، ولا يكتفى واضع الفلم بهذا كله حتى يجيء (سونة) ، فيقفه عليهما وقفة أبله ، فيقول للبنانى : هذه خطيبتى فكيف تأخذها منى ؟ ثم يضحك ويولى عنه كأن الأمر لا يعنيه ، وكأن هذا الفلم قد تعمد فيه أن يكون لعنة على الرجولة والشرف ومصر وجامعتها معاً ، وعدوانا على أولئك جميعا ...

وما هذا الذى ذكرت إلا مثالا مما فى هذا (الفلم) فهل يبلغ أعداؤنا منا أكثر من هذا ؟ وماذا يقول الناس غدا عن الجامعة المصرية وعن دار طلبتها إذا عرض هذا (الفلم) فى بلاد العرب ورآه أهلها الذين يعدون مصر كعبة الثقافة ومورد العلوم ؟ هل يرسلون أبناءهم إليها ؟ أم يقولون إن هذه هى حقيقة الجامعة ولولا ذلك ما صورها مصريون فى هذا الفلم المصرى ، ولما سمحت حكومة مصر بعرضه ، ولما سكتت عنه إدارة الجامعة فلم تطلب منعه ، ولم تقاض أهله ، ولم تحرك من أجله ساكنا ؟

وهذا الفلم مثال مما جرنا إليه تركنا ديننا وأخلاقنا ، وتقليدنا الغربيين فى رذائلهم وحدها ، وحسباننا أن هذا هو التمدن وهذى هى الحضارة . وإذا كان هذا الفلم قد سبق الزمان فصور الجامعة بهذه الصورة المزورة ، فإنه سيأتى علينا يوم تكون هذه هى الصورة الحقيقية للجامعة والمستشفى والمكتب والدائرة والمخزن والشارع والترام ، ويكون كل مكان يلتقى فيه الرجل بالمرأة ملهى من الملاهى ، ولم لا ؟ واللذة مطلوبة ، والرغبة موجودة ، وما ثمة حجاب يمنع العين ، ولا قانون يكف الجوارح ، ولا دين يزع النفس ، ولا

شهامة تلجم الشهوات ، لم لا ؟ ونار الشهوة الكامنة فى كل نفس ، تؤججها هذه المجلات المصورة ، وهذه الأفلام الداعرة ؟

أوليس من العجيب أنك تدخل فى القاهرة السينما التى تعرض الفلم الإفرنجى فترى له فكرة وموضوعا وهدفا ، وربما رأيت فيها الفلم العلمى أو التاريخى الذى يمر كله فلا تسمع فيه كلمة غرام ، ولا ترى فيه قبلة . وتدخل لترى الأفلام المصرية فتجدها كلها إلا النادر منها ، سخيفة النسج ، مضطربة الوضوع ، عمادها العرى والخلاعة والتخنث ورقص البطن ؟

أوليس أعجب منه أن تكون المجلات الفرنسية أعفّ فى الجملة من مجلاتنا التى لا يخلو أكثرها من صور الأفخاذ والسيقان والبطون والنهود ، تسابقت فى ذلك حتى بلغت الوقاحة ببعضها أن نشرت صور نساء عاريات لا يسترهن قليل ولا كثير ؟

أوليس أعجب من هذا كله ، أنى ذهبت مساء الخميس الماضى إلى مجلس يجتمع فيه عادة فريق من أكابر رجال التأليف والتعليم فى مصر ، فتكلمنا فى هذا الموضوع ، فاذا أكثر الحاضرين بين غافل عن هذا الداء لا يبصره ، أو متهاون به لا يكبره ، أو راض به لا ينكره ، وإذا هم جميعا يتسلّون فى ساعة الخطر ويلهون يوم الجد ، ويردّدون هذه الكلمات الحلوة (حرية الرأى) و (ضرورات الفن) و (مقتضيات العصر) ، والنار مشتعلة فى البلد ؟ !

***

يا أيها السادة المبجلون :

فكروا قليلا فإنكم قادة الرأى فينا ، فلا تكونوا تبعا للعامة من أهل أوربة ، فما يفلح قوم قادتهم تبع للعوام من أعدائهم ، فكروا بعقولكم التى فى رؤوسكم لا بعقول أصحاب الوجوه الشقر ، تروا أن الحريات كلها ، والفنون جميعا ، والحضارة من أساسها ، إنما كانت لتزداد بها الأمم قوة ، والناس إنسانية ؛ فاذا أساء قوم استعمالها وأخذوها من ذنَبها فجاءت فى أيديهم مقلوبة منكّسة حتى تبدل وضعها وضاعت فائدتها ، وصارت للأمة ضعفا لا قوة ، وأعادت الناس إلى البهيمية لم ترتق بهم فى سلّم الإنسانية ، فقد وجب فى شرعة العقل وجوبا درء ضررها ، ودفع أذاها ، وإلا كانت كالسيف يأخذه الأحمق الغرير ، فيجرح به نفسه ، وما كان السيف إلا ليرد به العادى ويذاد به عن الحمى ، وما أظن أن على ظهر الأرض عاقلا واحداً ، يرضى أن يضحى بأخلاق أمته وعفافها ، من أجل مقالة فيها كلام جميل ، أو قصة فيها وصف رائع ، أو صورة فيها فن بارع ، وإن الأمم تعيش من غير أدب مكشوف ، وفن عار ، ولكنها لا تعيش بلا أخلاق .

وأنا أحب الأدب ، وأقدس الحرية ، ولكنى أفضل أن نبقى مقيدة ألسنتنا وأقلامنا بقيد الإسلام والأخلاق ، على أن نهلك ونحن أحرار نقول ما نشاء ، فمن هو الذى يخالف فى هذا من القراء ؟

***

لقد صارت المجلات تخاطب الشهوات بالصور العارية ، بعد أن كانت تخاطب العقول بالعلم الحق ، والقلوب بالأدب السامى ، وهبط الأدباء إلى درك السفلة من القراء بعد أن كان عمل الأديب رفع القراء إلى العلاء ، وانقلبت الجامعات مسرح ظباء وموعد لقاء بعد أن كانت دار العلم والتقى والصلاح ، وغدت السينما عندنا (تهريجا) فاجرا ، بعد أن كانت السينما عند الناس درسا وعبرة وفناً ، وأوشكت هذه (الحرية ...) وهذه (الحضارة ...) أن تكون تعديا لحدود الشرع ، وهدما لأركان الخلق ، ودعوة إلى الفسوق ، لا عمل لها إلا هذا ، ولا ثمرة لها غيره .

أفيرضى عقلاء مصر أن تظل على هذا الطريق ؟

* * *

يا أهل مصر ! إن هذه المجلات ، وهذه الأفلام ، عدوان على مصر وعلى الفضيلة والمروءة والإسلام ، فإذا أنتم لم تقاطعوها وتقتلوها ، فمزقوا كتب الدين والأدب والتاريخ ، لأن كل صفحة منها تمجيد للمرض ، وامتداح للنخوة .

يا أهل مصر !

لقد جرب أجدادنا العمل بالقرآن فكانوا سادة الدنيا كلها ، فجربوا أنتم مخالفته وانظروا ما ذا تكونون ! !

القاهرة — **على الطنطاوى**

الأساطير الإسلامية

للدكتور جواد على

من الموضوعات الجديرة بالعناية موضوع : « الأساطير الإسلامية وأثرها على العقلية الأوربية » ، وهى أساطير عربية جاهلية اختلطت بعناصر أعجمية فى العصور الإسلامية التى امتزجت فيها ثقافات مختلفة متنوعة .

ولما بحث العالم الإسبانى « ميكول آسين Miguel Asin » فى « الكوميدية الإلهية Divina Comedia »[١] للشاعر الإيطالى الشهير « دانتى Dante »[٢] ، تطرق إلى ذكر العناصر التى أخذ منها هذا الأديب « الفلورنسى » الكبير تلك الصورة البديعة التى رسمها من أوربية وشرقية ، وقد اضطر إلى التعرض للقصص الإسلامية التى كانت قد شاعت فى إيطاليا أيام هذا الشاعر ، فقسمها إلى أقسام وفصول مثل الأساطير الأوربية التى أخذت من « معراج الرسول » ، والقصص التى انتزعت من وصف الجحيم عند المسلمين ، ثم القصص التى أخذت من أوصاف الجنة ؛ وبحث فى القصص المختلفة المعروفة مثل أصحاب الكهف والخضر وقصة «بولوقيا» والرحلات المخيفة إلى البحار ، وقصص الحيتان البحرية التى تظهر فى البحر على صورة جزر عائمة[٣] .

وقد بحث مستشرقون آخرون فى تأثير القصص الإسلامية فى القصص الأوربية ، وفى أثر الأساطير العربية فى أساطير أوربا فى القرون الوسطى[٤] ، وفى كيفية انتقالها إلى أوربا . وعلى بعض هذه القصص طابع إسلامى واضح ، وعلى بعضها أثر التكييف الجديد الذى طرأ عليها فى المحيط الأوربى الذى حلت به .

(١) Miguel Asin,islam and The Divine cŏmedy London 1926

(٢) Pietro ·Fraticelli, Daute operc minori di dante Alighieri3 aois Flsreuee 1908-12

(٣) Asin P, 204

(٤) أثر العرق فى الغرب . تأليف جورج يعقوب ترجمة الدكتور فؤاد حسنين القاهرة ١٩٤٦ ، ٧٤ .

ومن الأساطير الأوربية القديمة قصص مغامرات البحارة ومخاطرات البحار وعجائب المخلوقات فى هذه المحيطات الشاسعة ، وهى قريبة من القصص العربية الواردة فى كتاب عجائب المخلوقات[١] ، وفى الكتب المؤلفة فى حياة الحيوان[٢] ، وفى كتب السياح العرب الذين دونوا ما شاهدوه فى تلك البحار .

ومن أمثال هذه الأساطير الأوربية القريبة من الأساطير العربية قصة رحلة « هارولد النرويجى »[٣] ، ورحلة « كورم الدانماركى Gorm of Denmark » ، ورحلة « ما لدون الكلتى »[٤] ورحلة « أبناء كونال درك أو كورا »[٥] ، ورحلة « سانت برندن »[٦] وهى رحلة حج بحرية مشهورة جداً لراهب إرلندى وقد جمع فيها عدة قصص لرهبان آخرين مثل « St Barintur » و « St Mernoc » و « St malo » و « St amorus » ، ومجموعة الرهبان « الأرموريكن Armorican monks »[٧]

وقد انتشرت فى القرن العاشر للميلاد بين المسلمين كثير من القصص البحرية ، ويعود ذلك إلى توسع الحركة التجارية فى خليج البصرة ، وبين سواحل البلاد العربية ، وسواحل الهند والصين وإفريقية الشرقية ، وقد تفرعت منها قصص عديدة ، منها مادون فى الكتب ومنها ما ذكر عرضاً بصورة مختصرة أومبتورة .

ومن هذه القصص قصة البحث عن الخضر ، وقصة رحلات السندباد البحرى وقصة الجزيرة الخضراء وقصص الحيتان[٨] .

وقد قارن المستشرق الهولندى « دى كويه » بين قصة «سانت برندن» ، وهى من القصص الإرلندية وبين رحلة السندباد البحرى ، وبعض قصص بحرية ذكرها الشريف الإدريسى ، وقصة « بولوقيا » « Bolugiya »

(١) راجع كتاب « عجائب المخلوقات » للقزوينى طبعة وستنفلد ، ١٨٤٩ .

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ .

(٣) Asin p, 204

(٤) Dancona p, 105

(٥) Grof I, 93-126

(٦) Shroder Sanct Branden Frlangen 1871

(٧) Yoyè, 47

(٨) الثعالبي .

اختار « سانت برندن » الذهاب إلى قلعة نائية لم تكن مأهولة فى جزيرة لم تعرف إنساناً من قبل ، ولشد ما تملكه العجب حينما وجد مائدة غنية بأنواع الأطعمة والأشربة فأكل منها وشبع وأطعم أصحابه ولم يؤثر ما أكلوه على كمية الطعام[١].

وفى قصة « بلوقيا » التى رواها « عبد الله بن سلام » وهو يهودى اعتنق الإسلام تشابه مع قصة « سانت برندن » ، فبلوقيا وهو حبر يهودى ، وكان والده « أوشيا » من أحبار اليهود وأغنيائهم أراد البحث عن « محمد » وأمته ، فطاف بلاد الشام حتى بلغ جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هو بحيات كأمثال الإبل فظلا كلهن ثم مر بشجر كثير وبعالم غريب يشبه ذلك العالم الذى مر به ذلك الراهب[٢].

وقصة « بلوقيا » هذه التى قصها الثعالبى استناداً على رواية « أبى بكر بن عبد الله الجزدق » باسناده عن عبد الله بن سلام هى قصة ، وإن كانت مطبوعة بطابع إسلامى إلا أنها من القصص الإسرائيلية البحت . ولابن سلام قصص أخرى تحمل نفس الطابع ، ويحشره العلماء وأصحاب الحديث لهذا السبب فى تلك المجموعة التى اشتغلت فى إدخال « الإسرائيليات » إلى المسلمين بصورة حديث عن الرسول أو موعظة من المواعظ[٣].

ووجد هذا الراهب فى جزيرة من الجزر أشجاراً فاقتطع من أغصانها مقداراً وأوقد ناراً ليصنع طعاماً ، فلما تأججت النار تحركت تلك الجزيرة العظيمة وأخذت تموج ، فرمى الراهب وأصدقاؤه بأنفسهم فى اليم طلبا للنجاة ؛ إذ لم تكن تلك الجزيرة سوى سمكة عظيمة من نوع الحيتان البحرية[٤].

ويرى بعض المستشرقين مثل « دى كوية » « De goeje » و « Reinaud » و « D' avenyae » ، أن هذه الجزيرة تشبه الجزيرة الأولى التى وصل إليها « السندباد البحرى » وأصدقاؤه[١] وقصة السندباد من القصص العربية المعروفة ولعلها النموذج الأصلى لقصة « روبنسن كروسو » .

ونجد مثل هذه القصص فى الكتب الدينية القديمة مثل : « التلمود » وهو بعد التوارة عند اليهود وعليه عندهم العمل فى الأحكام الفقهية[٢] . ومثل « الأفستا » « Avesta » كتاب الفرس المجوس . وقد انتشرت أمثال هذه القصص بين العجائز والأطفال ولا زالت معروفة حتى اليوم .

وزعم نفر من المستشرقين أن قصة « سانت برندن » ، والقصص المشابهة لها هى من القصص الإيرلندية القديمة ، وقد عرفها الشرق عن طريق الصليبيين أو عن طريق أسبانيا ؛ ودليلهم على ذلك أن سمكة « الحوت » التى وصفت بالكبر والضخامة لا تعيش فى مياه الشرق[٣] .

وهذا الرأى لا يستند بالطبع إلى دليل ملموس ، ولا يعقل انتقال هذه القصة من إرلندة إلى الشرق . وهناك أدلة علمية واضحة تنفى انتقالها من إرلندة . فالجاحظ الكاتب البصرى وقد عاش فى نهاية القرن الثامن للميلاد إلى ما بعد منتصف القرن التاسع « ٧٨١ — ٨٦٩ م » يصف قصص البحارة عن الحيات البحرية فيقول : « فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا إلى بعض جزائر البحر وفيها الغياض والأودية واللخاقيق وأنهم فى بعض ذلك أوقدوا ناراً عظيمة فلما وصلت إلى ظهر السرطان ساح بهم وبكل ما عليه من النبات حتى لم ينج منهم إلا الشريد[٤] » .

ويظهر من كتاب الحيوان أن مثل هذه الأساطير كانت معروفة فى العراق ، وعلى الأخص فى البصرة فى أيام الجاحظ ، وربما كانت معروفة قبل عصر الجاحظ ، وأن قصة « السندباد البحرى » التى شاعت بين الناس فى القرن العاشر وما بعده أخذت من هذه القصص البحرية . وقد تطرق الغزالى فى كتابه « إحياء

(١) Rossi vittorio Storia della Lettera tura jtaliana, vol 1-5 ed milan 1911

(٢) عن عبد الله بن سلام راجع دائرة المعارف الاسلامية فى هذه المادة قصة « بلوقيا » الثعالبى . قصص الأنبياء صـ ٢٠٧ .

(٣) Encyclopiedia of jslam vol, 1, artic, abdallah ibn Salam.

(٤) Asin p, 20L قارن ذلك برحلة عبد المطلب الحكيم . Chauvin vol 7 p, 46

(١) Asia p 207

(٢) Asiu p 207 Haotings arte Telmud.

(٣) Asin Abenmassarra, Appendix 1-133

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ صـ ٣٣ ، ٣٤ .

علوم الدين » إلى ذكر الحيتان[1] .

أما الجزيرة الثانية من مجموعة الجزر التى زارها القديس فهى جزيرة نائية كانت مأهولة بالطيور المتكلمة وكانت أرواحها من طبيعة أرواح الملائكة[2] . وفى قصة « بلوقيا » مثل هذه الطيور . فلما سأل « بلوقيا » أحدها قال « أنا من طيور الجنة ، وأن الله قد بعثنى إلى آدم بهذه المائدة لما هبط من الجنة ، وإنى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الأكل ؛ وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت ، فيكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة . فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص؟ فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص. قال بلوقيا أفآكل منها ؟ قال كل ، فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد ؟ فقال معى أبو العباس يأتينى . فقال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام ، فلما ذكر الخضر وإذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة إلا نبت الحشيش تحت قدميه . ثم قال غمض عينيك فغمضهما ، ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فإذا هو جالس عند أمه ، فسألها من جاء بى إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض فوضعك قدامى[3] » .

وتشبه هذه الطيور الطيور المذكورة فى قصة : « سانت مكاريوس » « St. macarius[4] » . وقد ورد فى الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ذكر الطيور البيضاء ، وقد فسرها المفسرون بأنها الملائكة[5] . وهو تفسير يتفق مع مذهب الأوربيين فى تصور الملائكة على أنها على صورة طيور بيضاء ذات جناحين طويلين .

ووجد « القديس » فى جزيرة رهباناً كانوا يقتاتون بخبز الجنة لا يعرفون الهرم ولا يصل إليهم المرض ، وكانوا لا يتكلمون

وفى قصة « ذى القرنين[1] » وقصة « جزيرة الحكماء[2] » . شبه كبير بهذه القصة . أما « العنب » العجيب الذى عثر عليه القديس فى الجزيرة فله أصل فى الحديث المنسوب إلى الرسول إذ يروى أن جماعة سألوا الرسول عن الكرم وهل ينبت فى الجنة ، فأيد الرسول وجوده فيها ، وأبان لهم أن الحبة الواحدة لتكفى الرجل وعائلته[3] . وهو يمثل على كل حال رأى الناس فى العنب وهو رأى يشابه رأى الأوربيين فى عنب جزيرة القديس .

وفى الأدب العربى عدد لا يحصى من هذا النوع من القصص وقد جمع قسما منها الثعالبى فى كتابه « قصص الأنبياء » وتجد طائفة أخرى فى تفسير الخازن[4] ، وأكثرها من صنع من أسلم من اليهود مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب ابن منبه وأضرابهم . وروى بعضها عن عبد الله بن عباس[5] .

وتعرف هذه القصص عند المسلمين « بالإسرائيليات » . والظاهر أنها عرفت عند المسيحيين كذلك إما عن طريق الكتب الدينية والتفاسير الموضوعة على هذه الكتب ، وإما عن طريق اليهود الذين انتقلوا إلى أوربا فى عصر الإمبراطورية الرومانية . غير أن وجود العناصر الإسلامية فيها يشعر أنها انتقلت بعد ظهور الإسلام ، ولعل ذلك حدث بعد اختلاط الأوربيين بالعرب فى الأندلس وفى إيطاليا وفى بلاد الشام وفلسطين ، وبعد وقوفهم على كتب الأدب العربية ولا سيما كتب القصص منها ، وفيها طائفة كبيرة تلائم العقلية الأوربية والذوق الدينى الذى كان يتحكم فى نفوس أوربا فى القرون الوسطى حيث كان الحكم البابوى هو الحكم السائد ، والثقافة الدينية هى الثقافة السائدة ، وفى هذه القصص لون من ألوان هذه الثقافة .

جواد علي

(١) إحياء علوم الدين جـ ٣ صـ ٣١٨ طبعة القاهرة ١٣١٢ .

(٢) Asin p, 209 قارن ذلك بكتاب السيوطى شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور القاهرة ١٣٢٩

(٣) العرائس صـ ٢٠٨ وهناك قصص تشابهها فى اللغات الأوربية . راجع خاتم سليمان .

(٤) Asin p, 210 .

(٥) Asiu, 211 تذكرة صـ ٨٧ مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى القاهرة ١٣٠٨ .

(١) العرائس صـ ٢١١ .

(٢) Asin p 215 خريدة صـ ٩٣ — ٩٤ .

(٣) مختصر تذكرة القرطبي للشعرانى صـ ٨٧ Asin .

(٤) الخازن ، تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن القاهرة ١٣١٨ . تنوير المقياس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادى القاهرة ١٣١٦ .

(٥) عن عبد الله بن عباس راجع Encyclopoedia of yrolam vol p 19noeldeke yeschiche des gosran vol Ƨ p 190,

على هامش محاضرة :

الشر في طبيعة المستعمر

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يحار المرء فى تفسير ظاهرة الشر الواضحة فى الشعوب الغربية المستعمرة ، أهى طبيعة أصيلة فيهم أم هى نتيجة مباشرة لعوامل الاعتداد بالقوة وحياة الترف ولوازم الدنية ؟

لا شك فى أن الشعوب الغربية المستعمرة بلغت من الرقى الاجتماعى ومن الآداب والعلوم والثقافة العامة والتسامى فى التهذيب أو كادت تبلغ أوج التعالم الانسانية ، فما السر فى أنها تقتتل فى الحروب قتال الإبادة والفناء والتدمير والتخريب ، ويعمل الظافر فيها على سحق أخيه المغلوب ؟

ثم ما بال هذه الشعوب الغربية كالجزار تعمل مداها فى تلك الأغنام التى تدر الثروة عليها كلما أحست بحركة تدب فى هذه القطعان ؟ وما هى إلا الشعوب الشرقية الواقعة تحت سلطانها ودائرة نفوذها ؟

أفهم أن يستمسك الوارث بما ورثه عن الآباء والأجداد ، كما أفهم أن فى طبيعة الغنى القوى جشعاً يدفعه إلى تنمية ثروته وتوسيع جاهه ومد سلطانه كالشعب الانجليزى المستعمر ، أما الذى لا أفهمه ولا أجد سبيلا إلى إدراكه فهو كيف يجوز لمبذر متلاف كالشعب الفرنسى الذى أضاع ما ورثه عن آبائه وأجداده وفقد بسفهه الأخلاقى والاجتماعى ، كيف يسوغ له وهو القاصر المريض أن يزود بأسلحة الشر يعملها فى رقاب من أرادوا الخلاص منه والانعتاق من رزاياه من سكان شمالى أفريقيا ، خصوصاً وأن الفرنسى كالانجليزى يستويان فى ادعاء تهذيب الشعوب وتدريبها على الحكم الذاتى .

أفهم أن نهم الاستعمار يسيل لعاب الانجليزى ويدفع يده إلى امتلاك كل بقعة من الأرض مجاورة لما اغتصبته يده من قبل ، ولكل قطر سهلا كان أو جبلا ، نهراً أو قناة ، يقع فى طريق امبراطوريته المترامية الأطراف .

أفهم ذلك والامبراطورية البريطانية خارجة ظافرة من حرب بذلت فى سبيلها مهجاً وأموالا ، واكتسبت من جرائها عطف العالم عليها وإعجابه بها ، وبذلك لا أستغرب أن أراها تمد يدها تنتزع قطراً من هنا وتحتل مقاطعة هناك ، وتتطلع إلى ما هنالك ، وهى تتذرع بروح الديمقراطية وإسعاد البشرية وتهذيب الشعوب وإنقاذها من الخوف والمرض والجوع ، إنما الذى يدهشنى حقاً هو أن أرى دولة فرنسا فى حال من الهوان والبؤس والذل ، والفقر والضعف والجوع ، ومن الضعة الروحية والفاقة المعنوية ، يدهشنى أن أراها تشمر عن سواعد نخرة بالية تحمل سلاحاً فتاكا ترمى به العزل من أبناء تونس والجزائر ومراكش ، قطعانها التى تعيش على صوفهم وتشبع من لحومهم كأنها تنتقم من الألمان وقد داسوا كبرياءها بحوافر خيولهم .

* * *

حفزنى إلى هذا التساؤل والاستطراد محاضرة سمعتها من الأستاذ محمود عزمى ألقاها فى نادى الرابطة العربية عن مشاهداته فى شمال أفريقيا فبدا لى أن أقارن بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية فى طريقة استعمارهما الشعوب الشرقية المستضعفة الواقعة تحت حكمهما ، مكتفياً بهما وحدهما ، لأن الحكومات الأوروبية المستعمرة الأخرى وإن كانت أكثر ظلماً ، وأوفر شراهة وجشعاً ، تهتدى دائماً بهدى الانجليز والفرنسيين فى استذلال الأمم واستعبادها ، وتحذو حذوهما فى كل ما يقترفان من شرور ومظالم وما يدبران لها من أغشية للتضليل والتمويه .

نعرف أن السياسة الانجليزية رأت أن تقف سداً دون انتشار التعليم فى مصر فرمت وزارة المعارف بطاغية يدعى دنلوب عمل جاهداً على أن يجعل من النشء الجدد موظفين لدوائر الحكومة محدودى المعرفة مسلوبى الإرادة .

وما كنا نعرف قبل أن عرّفنا الأستاذ عزمى أن الفرنسيين فى تونس والجزائر ومراكش لا يسمحون بإنشاء مدرسة ابتدائية أو ثانوية إلا بإذن خاص من المقيم الفرنسى العام ، وما أندر ما يأذن ذلك الحاكم الأجنبى بافتتاح مثل تلك المدارس بحجة

أن التعليم يجب أن يبقى قاصراً في الكتاتيب على حفظ القرآن ، وأن ما نسمع عن المدارس العالية هناك فأنما أمرها بيد الفرنسيين وحدهم وأن برامجها موضوعة وفق مشيئة الروح الاستعماري وهو ولا شك أضل وأسوأ من مشيئة دنلوب .

نعرف أن الشعوب الشرقية التي يحتل الانجليزي بلادها يحكمهم وفق قوانين موضوعة ومحاكم قائمة وأحكام تنشر وتذاع، بيد أن أقطار شمال أفريقيا تحكم ، كما روى الأستاذ عزمى ، بغير قوانين ، وأن ليس في « رباط » قانون عقوبات ، إنما لها محاكم شرعية تحكم في الأحوال الشخصية وتفصل في الملكيات الوراثية ، ولها محاكم أخرى تسمى محاكم الباشا عليها مراقبون فرنسيون من رجال الإدارة يرشدون الحاكم المدنى إلى الحكم على المتهم .

نعرف أن الإنجليز في مصر من حاكمين ومقيمين أقل الناس استملاكا واستثماراً للأراضي الزراعية ، بيد أن الحال يختلف مع الفرنسيين من حاكمين ومقيمين في شمال أفريقيا في امتلاك الأرض ، وقد سمعنا من الأستاذ المحاضر أن المستعمر الفرنسي يملك الأرض ويستأجر الأهالى لاستغلالها بأبخس أجر ويقرضهم مالا لا يقوون على سداده ، وبذلك المال المقرض يبقى الفرنسي المالك قابضاً على عنق المغربي الأجير طول حياته .

نعرف أن المندوب السامى الانجليزى في مصر حاكم يربض وراء الستار يعمل متوارياً ما يصون مصالح حكومته ومنافعها ، وما عرفت مصر مندوباً سامياً يحمل عصا الديكتاتورية المقنعة سوى كرومر وكتشنر واللنبى ، وقل من عُرفت منهم من عاش في ظل الأحكام العرفية في أيام السلم . بيد أن الحال في بلاد المغرب تستوى في السلم وفى الحرب ، فان الأحكام العرفية هناك معلنة منذ عام ١٩١٢ وحجة الفرنسيين في إعلانها كما قال الأستاذ عزمى أنها تمنح القيّم العام حرية مطلقة في الحكم والتصرف الإدارى ولولاها لوجب عليه أن يراجع باريس في كل كبيرة وصغيرة من شؤون السياسة والإدارة والقضاء .

نعرف أن الانجليز في مصر منعوا الخديو عباس من العودة إلى بلاده وأنهم خلعوه من ولايته الشرعية ، وأنهم هيأوا أحد راجات الهند لاعتلاء العرش المصرى ، وأن السلطان حسين أنقذ البيت المالك بقبوله ولاية السلطنة إبان الحرب العالمية الأولى ، وإننا نعرف جيداً أن حادث شهر فبراير المشؤوم ثابت في ذهن كل مصرى ، ونعرف فوق ذلك أن الحكومات المصرية التي تولت الحكم إبان الحرب الأخيرة أبت على الحكومة الانجليزية الاشتراك رسمياً معها في الحرب مستمسكة بمعاهدة ١٩٣٦ التي تنص على حرية الحياد ، وعرفنا أن الحكم الفرنسي يستوى والحكم الانجليزى في معاملة الحاكين ، حدثنا الأستاذ المحاضر عن « المنصف » باى تونس قال : التزم هذا العاهل المخلص لوطنه شروط الحياد التام لبلاده ، وقد أبى على الألمان ما أباه على الأمريكان والانجليز ، وقد وقف كذلك في وجه الفرنسيين يصدهم عن تجنيد أبناء رعيته ، وقال : كان الجنرال جيرو يداً من أيادى المرشال بتان وذنباً من أذناب حكومة فيشى ، وأن هذا القائد عند ما جاء تونس لينضم إلى الجنرال ديجول أو يعمل معه ، كان أول ما عمله ترحيل المنصف الباى إلى فرنسا وأنه احتجزه في الصحراء ستة شهور حتى اضطره إلى كتابة صك تنازله عن العرش ، وعندها حملته طيارة إنجليزية إلى باريس تحرسها شرذمة من الجند البريطانى ، في حين أن الضباط الفرنسيين والطيارين الفرنسيين رفضوا نقل هذا العاهل المحبوب من شعبه ومن كل من عرفه أو اقترب من بلاطه .

يعرف كل من عاصر الثورة المصرية عام ١٩١٩ أن أحداث السنوات الخمس التي تلتها كانت أحداثاً جساماً ، وأن الانجليز لم يجابهوا الثورة مجابهة إلا عند ما كانوا يدعون دفع الأخطار عن مصلحتهم أو يتذرعون بحماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم ، وعندها كانوا يمتشقون السلاح يعملون به مايتوهمون أنه يقضى على روح الثورة المتأججة . فكم من دماء أهدرت ، وشباب ذوى ، وأمهات ثكلت ، وزوجات ترملت ، وأرواح صعدت إلى باريها تشهد على ظلم الظالمين ! وكم من صفحات أضيفت إلى تاريخ الاستعمار البريطانى سطرها اللورد اللنبى بسيفه وقد حاول المرشال ويفل تبريرها وتمزيزها بقلمه ، وما تلك الصفحات سوى شهادة صادقة على خنق حرية الشعوب الفتية بأيدى دعاة أنصار الحرية .

أما موقعة الجزائر الأخيرة فقد رواها الأستاذ محمود عزمى ، وعززها الأستاذ أمين الجامعة العربية . قال الأول : فعلت دعاية الحلفاء فعلها في نفوس المغربيين وتأثروا كما تأثر سواهم بميثاق

الأطلنطى . وسحرتهم الديمقراطية الفاتنة واجتذبتهم الحرية ، فما إن ألقى الغربيون التحاربون سلاحهم حتى هب الشعب الجزائرى هبةواحدة يظهرشعور الفرح والغبطةبدنوالحرية ، فمشى فى الشوارع أفواجاً منظمة يحمل أبناؤه الأعلام واللافتات فيها دعاء للحرية ومطالبة بالاستقلال .

هال المستعمر سماع صوت الشعب وحرارة ندائه فأمر القيم العام البوليس بتفريق المتظاهرين وتمزيق أعلامهم ولافتاتهم ، فنفذ البوليس الأمر بغلظة وقسوة . هاج الشعب وغضب لهذه المقابلة الظالمة فعاد ثانية إلى التجمع والمناداة بغضب للحرية والاستقلال، فقابلهم البوليس ثانية برصاص البنادق ، ففر الشعب إلى الضواحى يصب غضبه على بيوت الفرنسيين .

قامت قيامة القيم العام فأمر الجيش بإخماد الثورة .. مشى الجيش بجانبه أصحاب الأراضى من الفرنسويين وقد نضوا ثيابهم المدنية وأخذوا يعملون سلاحهم معه فى رقاب الأهلين ونيرانهم فى أكواخهم ، وما زالوا بهم تقتيلا وتحريقاً حتى طرحوا بقاياهم فى الصحراء ، وقد انجلت الواقعة عن ثلاثين ألفاً من القتلى .

وقد عزز هذه الحكاية سعادة الأستاذ أمين الجامعة العربية بقوله : لما كنت فى باريس حادثت أولى الأمر هناك بهذه الواقعة المحزنة فلم أسمع منهم إنكاراً لها ، ولكنهم قالوا إن فيها مبالغة ، والحقيقة التى اعترفوا بها هى أن عدد القتلى لم يتجاوز الثمانية عشر ألفاً !

وددت لو اتسع المجال لعرض كل ما سمعت من الأستاذ المحاضر ومقارنة أعمال المستعمرين بعضها ببعض ، ولكن ما إلى هذا رميت ، ولا إلى التشهير قصدت ، إنما مرماى هو كشف النقاب عن الظلم الكامن فى نفوس الغربيين المستعمرين ، ثم ما هو الواجب علينا حيالهم .

أنا لست مؤمناً بالإنسان ولا بعلومه ، ولا بعقله ، وقد كشف الكثير من أسرار الطبيعة ، وأنكر كل الإنكار المدنية والحضارة والتهذيب والكياسة وكل الأخلاق الفاضلة فى الشعوب الأوروبية التى لم تقو على محو روح الشر المتأصل فيها ولا اقتلاع جذور الظلم الكامن فى جوانبها ، ولا هبوط حمى الجشع المستعر فى ضلوعها ، إنما أومن عن عقيدة بأن الشر يدفع الشر وأن الظلم لا يقتله إلا الظلم .

حبيب الزحلاوى

خواطر مسجوعة :

فلسفة الأمل . . .

سأل سائل : ما الأمل؟ قلت : مصحح العلل ، ومبدد المَلل ، ومتقن العمل . مذال الصعاب ، ومهون العذاب . مُمسجد التراب ، ومكوثر السراب . مُصغّر ما جل ، ومكثّر ما قل ، ومُغْنى المقل ، بعسى ولعل ! الأمل ساحر مُزوّق ، بالأوهام يسرق ، وكاذب ملفّق ، قلما يصدق! الأمل سالب الأحلام ، وناهب الأيام ، وغالب الآلام ، ومصاحب المولود حتى الحمام ! ما أحب الأمل إلى القلب ، وإن استحق الثلب ! فوعده عذب ، وكذبه خطب . خياله فتنة ، وحقيقته محنة . بدايته جَنة ، ونهايته جِنة ! الأمل يصور المستقبل أجمل تصوير ، وما تصويره إلا تزوير ؛ ويُقدّر المخبوء أحسن تقدير ، وما تقديره إلا تغرير! الأمل كالأفق الممتد ، يظهر على بعد ، وكأنه بعد خطوات تُعدّ ، يكون فى متناول اليد ! يُجسم لنا الوهم ، فنخطئ الفهم ، ونتسرع فى الحكم ، على المخبآت الصم البكم ! رونقه جذاب ، ومنطقه خلاب . خمرته أشهى من ابنة الأعناب ، ونشوته عزم متوقد وثاب ؛ فإذا حسرت الحقيقة عن وجهها نقاباً ، وكشفت الخيبة عن سرها حجاباً ، تبدلت خمرة الأمل صاباً ، ونشوته أوصاباً ! فهو الهم المرغوب ، والمرض المحبوب ، والصديق الكذوب ، والجاد اللعوب ! يُثقِل ولا يُقيل ، ويُطمِع ولا يُنيل ، ومن عجب أنه بخيل ، وكل الناس له خليل ! بيد أن له فى الحياة شأناً يُؤثر ، وأثراً يُذكر ؛ فإذا قلنا : إن الحى بدونه كمن يقبر ، فهو بلا شك البعث الأصغر ! يخلق من البعوضة جملا ، ومن الذرة جبلا ، ومن الضيق سبلا ، ومن الظلمة بدراً مكتملا ؛ ومن الضعف قوة ، ومن الشيخوخة فتوة ، ومن مرارة العيش لذة سائغة حلوة ، ومن الشقاوة سعادة مرئية مرجوة!

فلولا الأمل ما ثابر مثابر ، ولا خاطر مخاطر ، وما تسابق قاصر وماهر ، ولا تنافس عاجز وقادر . ولولاه ما حلا زاد ، ولا طاب رقاد ، ولا تسلى فؤاد ، بميعاد بعده ميعاد !

حامد بدر

إمام الحرمين
بين المتقدمين والمتأخرين

للاستاذ الأب قنواتي

النضال بين المتقدمين والمتأخرين نضال قديم سابر الاجتماع على ممر الأجيال . فلكل جيل طموح ونزعات تجعله ينظر إلى الجيل السابق بعين الاستخفاف بل العدوان ... ولئن أردنا أن نقيم دليلا على هذه الحقيقة البسيطة وجدنا التاريخ حافلا بالأمثلة العديدة الشائقة فى الميادين المختلفة من مذاهب أدبية أو فنية أو سياسية ونظريات علمية ومناهج تاريخية ... الخ ، وقد يرجع هذا النضال إلى طبيعة الإنسان وشغفه بالجديد ... « سنة الله فى خلقه » ... ولكنه قد يرجع أحيانا إلى التقدم الحقيقى والتعمق فى البحث . فقبل أن يكتب النصر للجديد المتأخر لابد له من مقاومة القديم وإقناع مشيعيه ، وهناك تغيرات واتجاهات لا تخلو من الخطورة على خفائها وقلة ظهورها فى الخارج يجدر بالباحث أن يحاول إماطة اللثام عن سرها وإبرازها بوضوح لأنها كثيراً ما تكون « مفتاحاً » لفهم تطورات أخرى ضخمة . ونريد اليوم أن نقف برهة عند نضال كان له أثره الخطير فى تكييف علم الكلام ، ونحن نعنى طريقة المتأخرين التى حلت محل طريقة المتقدمين فى القرن الخامس الهجرى .

* * *

يقول ابن خلدون فى مقدمته إن أول من كتب فى الكلام على طريقة المتأخرين هو الغزالى[1] ، وقد ردد هذا الرأى كثيرون ممن أرخوا لتطور علم الكلام ولاسيما الشيخ محمد عبده[2] . ماهى فى رأى ابن خلدون ، هذه الطريقة ؟ وكيف تتميز من طريقة المتقدمين ؟ وهل أصاب ابن خلدون فى رأيه : تلك هى النقط التى أحب أن أعرض لها اليوم على صفحات « الرسالة » .

أما طريقة المتقدمين فقد رآها ابن خلدون متحققة فى الأخص عند الباقلانى (المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٣) . فبعد سرد الظروف التى هيأت لعلم الكلام نشأته والتكلم عن الأشعرى أخذ يقول :

« وكثر أتباع الشيخ أبى الحسن الأشعرى واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره ، وأخذ عنهم القاضى أبو بكر الباقلانى فتصدر للامامة فى طريقتهم وضع المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمنين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية فى وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول . وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ، إلا أن صور لأدلة تعتبر بها الأقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة فى الملة . ولو ظهر منها بعض الشىء فلم يأخذ به المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة للعقائد الشرعية بالجملة[1] » . إننا — والحق يقال — لا نجد فى هذا النص ما يشفى غلتنا . — فما هو محور طريقة المتقدمين ؟ . أهو استعمال العقل فى شرح العقائد ؟ هذا لا يكفى ، إذ العقل سيظل مستعملا فى طريقة المتأخرين بل سيكون ركنها الركين . هل هو عدم الاكتراث بالمسائل الفلسفية ؟ . ولكنا نجد الباقلانى وهو بلا شك من المتقدمين يتكلم فى الجوهر والعرض الخ فلنواصل قراءتنا فى مقدمة ابن خلدون . يقول مؤرخنا الشهير إن المتكلمين أخذوا على مر السنين يفرقون بين علوم المنطق وبين علوم الفلسفة إلى أن قال : « ثم نظروا فى تلك القواعد المقدمات فى فن الكلام للأقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التى أدت إلى ذلك ، وربما أن كثيراً منها مقتبس من كلام الفلاسفة فى الطبيعيات والالهيات ، فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضى . فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين » . ففى رأى ابن خلدون يرجع الفرق الحاسم بين الطريقتين إلى هذا : يعتقد المتقدمون أن بطلان الدليل يؤدى إلى بطلان المدلول ويرفض المتأخرون هذا الزعم .

(١) طبعة مصر ص ٤٦٦

(٢) رسالة التوحيد ، طبعة ١٣٦١ ص ٢٢

(١) ص ٦٥ ، — ٤٦٦

وأقر بكل بساطة ، مع احترامى لابن خلدون وسعة اطلاعه ، بأنى لم أرتض هذا الرأى لأنى حاولت أن أطبقه على كتابَىْ إمام الحرمين — الإرشاد والشامل[1] فلم أعثر على المبدأ الذى يقول به المؤرخ العربى الشهير . كما أنى لم أجد فى كتب الغزالى الخاصة بعلم الكلام — على القدر الذى أعرفه — دحض هذا الرأى الذى يظهر فساده من أول وهلة . ومن يدرس عن كثب المناقشات الطويلة التى وردت فى « الشامل » لايلبث أن يتحقق أن الأمر خلاف ما ذهب إليه ابن خلدون . ولقد تبادر إلى ذهنى أن الفرق الحاسم بين الطريقتين قد يرجع إلى نوع المنطق المستعمل فيهما، أوبالأحرى إلى مدى استعمال المنطق اليونانى فيهما . والذى هدانى إلى هذا الرأى هو حدوث شبيه هذا الظاهر فى القرون الوسطى عند المسيحيين ؛ فقد كان يوجد فى العالم العلمى الأوروبى حتى القرن الحادى عشر منطق أرسطو فى مختلف أقسامه ، وكان يستعمل فى المناظرات اللاهوتية ولكن من الوجهة الجدلية فقط . فعند ما ترجمت كتب أرسطو الأخرى وخاصة كتابه ما بعد الطبيعة أحدثت فى كهان علم اللاهوت انقلاباً عظيما ... أصبح القياس الأرسطى محور البحث الدينى نفسه ، والمبادئ الأرسطية - بقدر ماتكون غير مخالفة للعقائد — القالب العلمى لتقديم العقائد وربط بعضها ببعض والدفاع عنها والتعمق فى مضمونها . ولقد تساءلنا عما إذا لم يحدث ما يشبه ذلك فى علم الكلام عند المفكرين المسلمين . فلا شك أنهم عرفوا أرسطو منذ القرن الثانى للهجرة فقد كان بعض المعتزلة يقرؤون كتبه ويستفيدون منها . ومن المحتمل بل من المرجح أن مبادئه المنطقية أخذت تتسرب رويداً رويداً إلى علماء الكلام من طريق المجادلات والمناظرات مع الفلاسفة أو الملحدين ، وأخيراً اندمج فى علم الكلام نفسه وأصبح من آلاته الأساسية .

ولقد تحدثنا مع الأستاذ الكوثرى فى هذا الموضوع ، فتفضل وأرشدنا إلى مخطوط لتلميذ للباقلانى أبو جعفر محمد بن أحمد السمنانى (المتوفى سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢) ، وعنوان المخطوط :

(١) نشكر الأستاذ الخضيرى الذى أعارنا نسخته للشامل . ومن طريف هذه النسخة أن الناسخ قد أردف الجزء الأول من الشامل بجزء من تبصرة الأدلة للنسفى بدون أن يذكر المؤلف .

« البيان عن أصول الإيمان ، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان[1] » يحوى هذا المخطوط باباً خاصا « بالفرق بين الأدلة الصحيحة وبين فاسدها وذكر أقسامها » ، يمكننا أن نعتبرها أنموذجا خالصا لطريقة المتقدمين ، فلا ذكر هنا لقياس أرسطو ، ولا ذكر لإبطال المدلول بأبطال الدليل الذى جعله ابن خلدون معيار طريقة المتقدمين ، بل يكتفى السمنانى فى القسم الأول من الأدلة بذكر « حجة العقول التى نبه الله عليها بقوله تعالى لقوم يعقلون، ويتذكرون ، أفلا يتدبرون» وهذا القسم يقع الاحتجاج به من وجوه :

الوجه الأول : أن يقسم الشىء فى العقل إلى قسمين أو أكثر من ذلك ، ومحال أن تكون كلها صحيحة أو كلها فاسدة ، فمتى أفسد الدليل أحد القسمين أو كلها إلا قسما واحداً ثبت صحة القسم الباقى .

الوجه الثانى : أن يجب الحكم والوصف للشىء فى الشاهد لعلة ، فيجب القضاء على أن كل من وصف فى الغائب بتلك الصفة وثبت له ذلك الحكم فإنه لأجل مثل تلك العلة ما يستحقه .

الوجه الثالث : أن تعلم أن الذى يصحح الحكم والصفة إنما هو وجود المصحح ، فيجب القضاء لكل من له تلك الصفة أن يكون مصححها مثل ذلك المصحح .

الوجه الرابع : أن تعلم أن حقيقة الشىء هو صفة له ، فيجب الحكم بمثل تلك الحقيقة لمثل تلك الذات فى الغائب ، وكذلك الحد .

الوجه الخامس : أن تستدل بصحة الشىء على صحة مثله وما هو بمعناه ، وباستحالة على استحالة مثله وما هو بمعناه .

هذه هى الحجج العقلية التى يبنى عليها علماء علم الكلام

(١) لم يذكر هرتن Horten هذا الكتاب فى مؤلفه المشهور Die spekulativen Systeme der spekulativen Theologen imIslam عندما تكلم عن السمنانى صـ ٥٦٢ — ٥٦٤ . والنسخة التى نقل عنها الأستاذ الكوثرى موجودة فى المكتبة العثمانية بحلب ضمن مجموعة مخطوطة تحت رقم ٥٢٧ كان السمنانى قاضيا بالموصل وكان يقول الباقلانى عنه : « هذا مؤمن آل فرعون » باعتبار أنه كان حنفيا أشعريا . ويضيف الأستاذ الكوثرى « هذا كلام بارد لكن قائله لا يخلو من نزق فى كل مواقفه على سعة علمه » انظر ترجمة السمنانى فى تاريخ الخطيب البغدادي جـ ١ صـ ٣٥٥ .

المتقدمين براهينهم ، وهى على ما أظن لا تتجاوز الدلائل العقلية المستعملة فى أصول الفقه[1] ، ولا صلة لها صلة أساسية بالمنطق اليونانى .

أما الأقسام الأخرى من أقسام الأدلة التى يذكرها السمنانى فهى الاستدلال بموجب اللغة ، والاستدلال بظهور المعجزات على صدق من ظهرت على يده ، لأنها تجرى مجرى الشهادة له بالقول ، والاستدلال بكتاب الله ، والاستدلال بقول الرسول ، وإجماع الأمة من أهل كل عصر ، والقياس على الكتاب والسنة ، والإجماع فى الأحكام الشرعية التى لا مجال للعقل فيها بحال .

ومما جعلنا نؤمن بصحة نظريتنا مطالعتنا لرسالة الأستاذ على محمد جبر من علماء الأزهر : « إمام الحرمين وأثره فى بناء المدرسة الأشعرية » . فقد درس الأستاذ إمام الحرمين درسا وافيا ، راجعا إلى مؤلفاته : (البرهان ولمع الأدلة والشامل والإرشاد) وإلى مخطوطات أخرى مثل (المطالب العالية للرازى وإبكار الأفكار للآمدى) . فتمكن من إبراز شخصيته العقلية والاتجاه الجديد الذى أعطاه لعلم الكلام . وقد انتهى الأستاذ جبر إلى أن إمام الحرمين هو رأس المتأخرين ، وأن التمييز بين المتقدمين والمتأخرين يرجع إلى ناحيتين :

أولا : بالنسبة لطريقة الاستدلال على العقيدة ، فقد يخالف إمام الحرمين الأشعرى والباقلانى ، إذ هو جعل الاستدلال على العقيدة بطرق ثلاث : السبر والتقسيم المنحصر بين طرفى النفى والإثبات ، قياس الخلف الذى يثبت الشىء بإبطال نقيضه ، القياس المستقيم . والأشعرية قبله لم يستعملوا قياس الخلف ولا القياس المستقيم بل كانوا يستعملون طرقا خطابية تارة وقضايا مشهورة أخرى والسبر والتقسيم بتسميه المنتشر والمنحصر .

ثانيا : بالنسبة لبعض الموضوعات الكلامية مثل الكلام على الصفات الخبرية التى وردت فى الكتاب والسنة . فطريقة الأشعرية قبل إمام الحرمين هو عدم التأويل وعدم بيان المراد منها . أما إمام الحرمين فقد أول وبين المراد منها . ويقول الأستاذ جبر إن إمام الحرمين هو أول من جعل الأبحاث الكلامية مثل البحث فى الجوهر والعرض والكون والطفرة والجزء الذى لا يتجزأ وسيلة وطريقة تؤدى إلى الغاية المطلوبة من نفس علم الكلام وهو إثبات الله وصفاته ونفى القدم عن سواه أكان قدما ذاتيا أم زمنيا .

وليس يتسع لى المجال هنا لمناقشة الأستاذ فى جميع نتائجه فهذا يستحق بحثا على حدة ، غير أنى أوافقه فى جعل إمام الحرمين ممن أثروا تأثيرا حاسما فى توجيه علم الكلام توجيها جديدا . ولو أنى أميل إلى وضعه لا فى رأس المتأخرين كما يفعل الأستاذ بل فى محل وسط بين الفريقين ، وكحلقة اتصال بين طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين .

ومهما يكن من أمر ، فإنى على يقين أننا لا نزال محرومى التفاصيل الشافية فيما يخص تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وذلك للعدد الضخم من المخطوطات التى لا تزال مطوية فى أجواف المكاتب ، ولو كان لى أن أقدم رجاء فهو أن يهتم شبابنا المثقف من أزهريين وجامعيين (بمعاونة الأزهر والجامعة معاونة روحية ومادية) بنشر النصوص الفلسفية والكلامية القديمة فقد حان الوقت فى هذا الميدان أن نطير بأجنحتنا كما يقول الغربيون وألا نظل إلى الأبد عالة على المستشرقين .

إننا نلفت نظر من يهتم بتاريخ الفلسفة الإسلامية والمسيحية فى القرون الوسطى إلى ثلاثة كتب قيمة ظهرت حديثاً فى هذا الموضوع :

أولا — كتاب مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ، وهو للأستاذ بينس Pines وقد عربه الأستاذ أبو ريده تعريبا دقيقاً .

ثانياً — كتاب إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية للأستاذ أبو ريده (الذى يستحق كل الثناء لما بذله فى ميدان نشر الفلسفة الاسلامية) .

ثالثاً — تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط للأستاذ يوسف كرم وهو لا يقل تركيزاً وتعمقاً من كتابه فى تاريخ الفلسفة اليونانية .

الأب قنواتى

(١) مع وجود الاستعانة بالسبر والتقسيم فى تعيين العلة فى بحث القياس الفقهى .

يا ليـــل ...!

للأستاذ محمد خير الدين الأسدي

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

نعود الآن فنرهب الوقف، وقد بدا لنا توجيه آخر، ذلك أن الغناء العربي من طابعه الإعادة والترداد، بأن تعاد الكلمات وأحيانا مقاطع هذه الكلمات، على نحو ما نسمعه اليوم، فهل يبعد أن كان ردد مغن مجيد مقطع « لى » من موالى، فكان من وراء هذا الترداد « لى لى » أو قل: ليـلى مصدرة بأداة النداء القائمة بالأصل، ثم استحسن هذا التفنن وجرى الناس عليه إلى يومنا .

ولعل ما أغرى المغنين بالتمسك بصورة يا ليلى نزوعهم إلى التفرقة بين الغناء الغزلي والغناء الديني المفتتح بيا مولاى — كما هو شأن التمجيد فى المآذن

عرفنا بعد ما تقدم أن يا ليلى أصلها يا موالى، فلنسجل هذا المذهب بجازم اليقين، لما أن البينات تدعمه، ثم لنسجل ما تبقى من تطورها بشيء من التحفظ، لما أن تاريخ الغناء ومرور الزمن تألبا على الغموض والإبهام .

انتقال يا ليل من الموال :

وكتب ليا ليل أن تفارق الموال إلى غيره من ضروب الغناء متنكرة بمظهر جديد — كما نرى نحن — منها .

يا ليل في الموشحات :

انتقلت يا ليل إلى الموشح بشكل « يالا » و « يالالا » و « يالان » و « يالالالا » و « يا للى » كما فى موشح « أحن شوقا » وتلحين الوشح كما يحدثنا الأستاذ رجائى :

أحن شوقا إلى ديا إلى ديار رأيت فيها جمال سلمى آه يالان جانم
يا لا يا لالا يا لان جانم يالالالا يا للى ...

وقد تظهر بمظهرها الأصلي : يا ليل أو يا ليلى ، كما فى الوشح الحديث : « زالت الأفراح عنا » ، وتلحينه كما يحدثنا الصديق رجائى :

ليلى يا عيني يا ليل زالت زالت يا عيني

وقد تكون يا للى ، كما فى موشح « ما احتيالى » وقد تدخل فى صلب الوزن الشعري بصيغة يا لالى ويا ليا وهلوليا ، كما فى « يا لالى هوانم آه يا لالى » و « يامه يا ليا يا زرد خلخالى » و « هلوليا هلوليا عيني يا لينية » .

وقد تبقى سالمة بإزالة تضعيف الياء ، كما فى لازمة من أغانى رقص السماح « مواليا يا مواليا والعشق غير حاليا » . وقد تحذف الألف كما فى طقطوقة « زوالف يابو الزلف عيني يا مواليا » .

يا ليل فى الغناء الفارسي :

انتقلت يا ليل إلى الغناء الفارسي بشكل « دلاى » ، وكان لما هذا التحريف لتتلاقى مع لفظ ذى دلالة فى الفارسية ، ذلك أن « دلاى » كلتان : « دل » بمعنى القلب و « أى » أداة نداء وهكذا تبوأ يا قلبي — وما أحلى هذا النداء — مكانه فى الغناء الفارسي ، حذو أمها « يا ليلى » فى الغناء العربي ، فتكرر كثيرا ولا تزال دولتها قائمة ، وإن كان معاصرونا يقللون من تردادها . حدثنا بذلك موسى أفندى البهائي ابن أخى عبد البهاء فى حفلة أقامها لنا الأستاذ ثابت عريس قنصل سورية بحيفا .

يا ليل فى الغناء الكردي :

معظم الغناء الكردي من نوع الموال ولازمته التى تردد هى « لو لو Lo Lo » وقد تقسم بين جزئى اللازمة « ده » الدالة على التكرار .

وليست لو لو من لو الكردية بمعنى « يا » : أداة النداء ، إنما هى عندنا تحريف « ليلى » على شكل ينسجم مع مدلول آخر فى الكردية .

ردد المغني الكردي « لو لو » كثيرا وكثيرا ، ولقد عاب أحدهم كرديا بهذا الترديد الكثير الممل ، فأجابه — وكنت أسمع — : جانم ، وانتوليش بيقول: يا ليلى يا ليلى ، فرد الحجر من حيث أتاه .

يا ليل في الغناء التركي :

وانتقلت إلى الغناء التركى ، إلى ضرب من غنائهم المسمى « غزل » وهو ما يشبه الموال عند العرب لكنها تحرفت كثيرا ، إذ كان مظهرها « يارى » أو « يارمى » يذكرنا بكلمة « يار » الفارسية بمعنى حبيب[1] مذيلة « بأى » أو « مى » أداة الهتاف وكثيرا ما تلحق بأمان امان .

وإذا لاحظت إمالة الراء فى « يارى » وإمالة الهاء فى « يارمى » بدا لك أن وزنهما ووزن « يا ليل » المالة واحد .

هذا فى نوع الغزل ، أما ما عداه من الغناء التركى فقد استعملوا فيه « واره لى لى لى » حتى جاء منير نور الدين مغنى أتاتورك فاستعمل هذه الأخيرة فى المقامين : الغزل وغير الغزل .

وبمناسبة الغناء التركى ويا ليلى نورد لطيفة يتحدث بها أهل استنبول ، تلك أنهم زعموا أن عربيا صحب شيطانا فى سفر له من استنبول إلى بغداد ، واقترح عليه أن يقطعا الطريق بالغناء على أن يركب صاحب الدور فى الغناء ظهر صاحبه إلى أن ينتهى ، فيؤول الدور إلى الثانى وهكذا .

ها هو ذا الشيطان على ظهر العربى وها هى ذى أغنيته تردد البرارى صداها ، حتى إذا ما انتهى نزل وكان الدور للعربى ، فركب وأرسل الصوت بيا ليلى يا ليلى ... قالوا بلغ بغداد ولم ينته من يا ليلى ...

يا ليل فى الغناء الأرمنى :

تستعمل يار الفارسية فى الغناء الفراى Troubadour المدعو عندهم « أشوغا كان » ونلاحظ التقارب اللفظى بين هذه الكلمة وكلمة « عشق » العربية .

وتستعمل «لو لو o Lo » فى غير هذا الضرب وتتجلى فى أغنية « سبيانا كاجر » أى أبطال جبل سيبان ، وهو قرب مدينة وان ، وهذه الأغنية قديمة العهد ، وشاعرها مجهول .

وقد تستعمل « لى لى » بالإمالة وهذه مستفيضة . وأن « لو لو » و« لى لى » كلاهما لا مدلول لها فى الأرمنية .

يا ليل فى الغناء القوقازى :

قبيلة غموق فى داغستان تستعمل « دلاى » أو « دللاى » فى ضرب من غنائها ، يرددها المغنى كثيرا ، وقد ترددها الجوقة دون المغنى ، وهى لا مدلول لها عندها

يا ليل فى الغناء الدينى ليهود حلب :

يهود حلب دون كل يهود العالم يحتفظون فى تقاليدهم بكثير من التراث القديم ، ولقد كتب لنا أن درّسنا فى مدارسهم اثنين وعشرين عاما ، اطلعنا فيها على الكثير من دينهم ولغتهم وأساطيرهم وما إلى ذلك .

ومما نعرفه ونحن فى صدد يا ليلى أنهم ينقلون النغم العربى إلى حفلاتهم الدينية الفرعية بألفاظ عبرانية تشابه جدا الألفاظ العربية كل هذا بتوخ وقصد ، ولطالما سمعنا طلابنا الشادين يغنون « يه الى » بإمالة الهمزة ، فهى على وزن يا ليلى ، وهى قريبة اللفظ منها ، ومعنى يه الى : الله إلهى ، إذ أن « يه » المقطع الأول من يهوه .

يا ليل في الغناء الغربى :

يستعمل الغربيون عامة لدى تجسيد النغم « لى لى ... لم » وظنى أن هذه الألفاظ التى أهملتها معاجمهم هى من « ليلى » مقفاة بالميم المؤذنة بالوقفة ، أو بأمد من السكوت يوحى به إطباق الفم بها .

فإذا صح ما قدمته صح معه أن دولة يا ليل العربية تمتد من مراكش فشمال أفريقية فجزيرة العرب ما خلا البادية فالعجم فتركية فأرمينية فالقوقاز فسائر أوروبا ، ومن اصطبغ بمدنيتها من أمريكا وسائر المعمورة .

وعلى هذا الامتداد لا يكاد يدور دولاب الزمن نحواً من الدقيقة ألا يتموج الهواء بيا ليل ليل نهار دون انقطاع ، وهذا مجد ما بعده من مجد .

(تم البحث) **محمد خير الدين الأسدى**

---

(١) قاموس شمس الدين سامى ط استنبول .

بكم تبيع ؟!

للأديب الفاضل ثروت أباظه

كان اليوم يوم جمعة ، والشتاء يرسل نذره لطيفة حيناً ، عنيفة أحياناً ، ولا عاصم من تلك النذر إلا الشمس نضحّى لها حيث نتوقعها ...

وبالجيزة قهوة توثقت الصلة بينها وبين الشمس : فهي دفء ونعيم ومنظر ، لجأتُ إليها وحدي مترقباً صديقاً على موعد .. جلست أنتظر فإذا رجل منتفخ الأوداج ، غليظ الشفتين ، حليق اللحية والشارب ، أسمر الوجه ذو شعر لولبي يأبى على الطربوش أن يطمئن على الرأس ، قصير القامة منبعج في امتلاء ، يحاول أن يتأنق ما أتاح له جسمه ذلك ، وقليلا ما يتيح ... إنه عبد الشكور افندي .. استغفر الله .. بل عبد الشكور بك ... ولم لا ؟! ألم يهبط من عربة فخمة يقودها بنفسه ؟ ! ألم يغدُ صاحب أملاك وعمارات ...لا... إنه عبد الشكور بك . وباشا إذا لزم الأمر !

كنت أعرفه معرفة قليلة ، ويظهر أنه هو الآخر جاء على موعد ، فهو يقصد إلى منضدة قريبة ولكنه حين يمر عليّ لم ينس هذه الإنحناءة التي تحاول أن تكون أرستقراطية فيقف دون ذلك قوام أفقي ! يفعلها على أي حال تمرين رياضة جسدية ، على أنه إن لم تكن تحية ودية ، ويقصد إلى المنضدة فيجد عليها رجلا أنيق الملبس ، أشيب الفودين ، طويل القامة ، مليح القسمات ، يقف ويسلم على عبد الشكور بك في حركات مهذبة رشيقة ، ويجلس الرجلان ؛ وأظل شاخصاً إليهما حتى يأتي صديقي ويسألني عمن أنظر إليه فأحدثه حديث عبد الشكور الذي كان كما سمعت بائع دقيق ، ثم .. ثم صار عبد الشكور (بك) منذ سنتين ! فيؤكد لي هذه القالة ويخبرني أن الرجل الجالس إليه موظف كبير بوزارة...وأنه يتمتع بسمعة لا يحسد عليها ... التفت إلى رفيقي وقلت :

— أتعرف كلمة هذا العهد ؟

— ماذا تقصد ؟

— ألم تعلم يا صديقي أن لكل عهد كلمة تميزه من سائر العهود ، كلمة يخلقها الجو المالي وتنميها ألسنة الناس ، كلمة عهدنا هذا: بكم تبيع ؟ . بكم تبيع شرفك ؟! بكم تبيع كرامتك ؟ وخلقك ماذا يساوي ..؟!» تسمع الآن هذه الأسئلة وتسمع بجانبها ناصحاً يقول للمسئول : « قل ! أخبره ! إنه سيدفع » وآخر يقول للسائل : « ادفع ! إنه سيبيع ! » ولكل من الناصحين فائدته من بذل هذه النصيحة...

— ولكن ألا ترى معي يا أخي أن هذا السؤال لا يتعرض إلا صغار الموظفين والذين لا يملكون إلا القليل مما تصبو إليه نفوس السائلين ، أما الغالب في كبار الموظفين فضمير كبير نماه احترام الموظفين الصغار .

— ضمير !! أنت تفهم مدلول هذه الكلمة ، ولعلّ كبار الموظفين يفهمونه ؛ ولكنه في نظر عبد الشكور شيء معوّق يجب أن يزول .. فتراه حين يرى ثورة الرجل الكبير يعرف أن الضمير في هذه المرة غالي السعر قليلا فهو يبذل ويبذل حتى تخمد ثورة وتبدأ مفاوضة .. مفاوضة غير مقطوعة .. فالموظف الكبير لا يقبل الدخول في هذه المفاوضة إلا إذا كان السعر المبذول باهظاً والغني الجديد يعلم أن الضمير إن لم يكن بالسعر المفروض فهو بما يقاربه، وكأنني بابن الرومي قد رأى الشاري والبائع فأرسل هذين البيتين:

إن للحظ كيمياء إذا ما ... مس كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشاء كما شا ... ء متى شاء كائناً ما كانا

كلا الرجلين كلب من كلاب الحظ ...

— هل تريدني أن أفهم العصامية والنشاط الاقتصادي مجرد كيمياء من الحظ .. لا يا أخي أنت مخطيء . إن عبد الشكور رجل عظيم انتشل نفسه من وهدة الفقر فعمل وعمل حتى تسنم ذروة الغنى . أنا لا أفهم مطلقاً أن يشرع الكتاب أقلامهم لمحاربة قوم عملوا فربحوا . أنا لا أفهم ...

— اسمع لي قليلا حتى تفهم ... تقول إن الكتاب مخطئون حين يهاجمون هؤلاء . ولو لم أكن وثيق الصلة بك لأيقنت أنك لم تكن حياً في أيام الحرب ، ولكن الغريب أنك كنت معي وكنا نتشاكى الغلاء معاً .. فلا شك أنك كنت حياً ..

العصامية — يا سيد — شيء نقدره — نحن الشرقيين — نقدره إذا كان عن طريق شريفة .. والتاجر الذي يربح في السوق الشريفة يحتاج إلى لباقة وكياسة ، ومادام يربح شريفاً فلا حاجة للربح الدنس، فهو يحتقر السوق للوثة ومحاربها ، عندنا من هؤلاء

داود باشـــا
ونهضة العراق الأدبية
في القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

أعجب داود باشا بهـذه الخريدة كل الإعجاب فأهدى إلى ناظمها إمامة قليون نفيسة فأنشد الشيخ طرباً .

إلىّ إمامـة القليون وافت ... فتاهت فى محاسنهـا عيونى
من المولى المشير إلى المعالى ... بأيد حطت الفضـلاء دونى
فقبلها فى ألفـــا وناذى ... مفا كهة اقـــوم يجهلونى
أنا ابن جـلا وطلاع الثنايا ... متى أضع الإمامة تعرفونى

وقد مدحه بطرس كرامة بقصائد عديدة منها قوله :

وزير إذا ما سار فى حلبة العلى ... على مهل يأتى أمام ذوى الركض
هو البدر للمجد الرفيع وللندا ... وللعلم والعليا هو الحكم المرضى
وذو الحزم والرأى السـديد مؤيدٌ ... بكل صواب ما يقول وما يمضى
مهيبٌ حليمٌ جهبذ متجلبب ... من العلم والآداب بالشرف المحض

ومنها قوله :

إن البلاغة والبراعة ... عنـــد داود الوزير
وسمت من ألفاظـــه ... داود يلهـــج بالزبور
فكأنمـــا آدابـــه ... روض تنـوع بالزهور
إن قال نظما خلتــه ... بعقوده درر النحـور
صدر العـــلوم وبدرها ... بدر لـكل ذوى الصدور
شهـم إذا حضر النزا ... ل يصول كالأسد الهصور

وقد مدحه أيضاً عبد الغفار الأخرس الشاعر العراقى الذائع الصيت بقصيدة أرسلها إلى الأستانة نقتطف منها هذه الأبيات :

بوادى الغضا للمالـكية أربع ... سقتها الحيا منا جفون وأدمع
ومرتع لهو كان للريم ملعباً ... على أنه للضيغم الورد مصرع

إلى أن قال :

أرانى مقيما بالعراق على ظما ... ولا منهل للظامئين ومرتع
وكيف يورد الماء والماء آجن ... يبل به هـذا الغليل وينقع
لعل وما يجدى لعل وربمـا ... غمائم غم أطبقت تتقشـع
يعود زمان مرّ حلو مذاقه ... وشمل أحبائى كما كان يجمع

***

وكنت إذا طاشت سهام قسيها ... وقتنى الردى من صنع (داود) أدرع
فمن جوده أنى ربيت بجوده ... وزير له الإحسان والجود أجمع

الشرفاء قلة ولـكنها محترمة لأنها كانت فى أمانه فوصلت .. هذه القلة لم تساعدها كيمياء الحظ مساعدتها لعبيد الشكور ، وإن كان لم يبخل على اجتهادها بقطرة .. ولـكن ذلك العبد الشكور الذى أصبح غنياً فى سـنة أو اثنتين لا نستطيع أن نُجرى غناه على سَنَن الشرف ... وإلا فما أيسر الغنى وما أسهل أن تـكون غنياً ... والحقيقة أن هناك مانعـاً بسيطاً يحول بينك وبين الغنى المفاجىء ... أتدريه ؟ ... إنه الضمير ! ! انزعه من بين ضلوعك واقذف به على سلم الفقر الذى تقف عليه تجد نفسك ارتقيت درجات الغنى بخفة وسرعة ،ولـكنه غنى رخيص

— ترى أبنفسك ترة تحفظها لعبد الشكور ؟ أم إنها ... ؟ !

— لا ! إنها ترة كل مواطن استنزف عبـد الشكور قوته وقوت عياله . إنها ترة وطن ودين وخلق ، وليس فى هـذا الـكلام ما يشفى هذه الترة ، ولـكن هناك واجباً على الحـكومة لا بد أن تقوم به .

— ويك وما ترى الحـكومة فاعلة ؟ !

— كأنك لم تسمع ! لقد سنّت مشروع قانون تسألهم فيه « من أين لـكم هذا ؟» ولـكن يظهر أن « بكم تبيع؟» أومضت فجأة فى عيون الموظفين فمشى المشروع بنفسه إلى درج من الأدراج ونام ، وعلى الناس الـسلام ... أريد من الحـكومة أن تفتح الدرج وتوقظ مشروع القانون ، أريد منها أن تمنع الموظفين الـكبار أن يسمعوا تلك الـكلمة السامة التى إذا لم تصب الهـدف فى الرمية الأولى أصابته فى الثانية أو فى الثالثة ... بكم تبيع ؟ !

ثروت أباظة

وردّ شموس الفضل بعد غروبها كما ردها من قبل ذلك يوشع

وقام له فى كل منـــبر مدحة خطيب من الأقلام بالفضل مصقع

ومستودع علم النبيين صدره ولله سر فى معاليه مودع

كأن ضياء الشمس فوق جبينه على وجهه النور الإلهى يسفع

وزر ومرّ الحادثات تزيده ثباتاً وحلماً فهو إذ ذاك أروع

***

(أباحسن) هل أوبة بعد غيبة فللبدر فى الدنيا مغيب ومطلع

لئن خليت منك البلاد التى خلت فلم يخل من ذكرى جميلك موضع

ففى كل أرضٍ من أياديك ديمة وروض إذا ما أجدب الناس ممرع

يفيض الندى من راحتيك وإنها حياض بنو الآمال منهن تكرع

وإنى على خصب الزمان وجدبه إليك وإن شط المزار لأهرع

ولو أننى وفقت للخير أصبحت نياق بأرض ازوم تخدى وتسرع

وكان المترجم مكرماً ومحبوباً من الجميع لما كان يأتيه من الدالة والمساواة والاخاء ، وقد مدحه الشيخ صالح التميمى وعدد مناقبه بقصيدة طويلة نثبت منها ما يلى :

زهت الرياض وغنت الأطيار وزها المقام ورنت الأوتار

وصفابها العيش الأنيق وروقت فيها المياه وجادت الأمطار

وعلت على دوح الأراك حمائم وتزاهرت بغنائها الأقمار

وزها بها ورد الاقاح ونرجس وشقائق النعمان والأزهار

وبعد أن مكث فى الآستانة مدة عيّنه السلطان عبد المجيد شيخاً على الحرم النبوى ، وأرسله إلى المدينة المنورة عام ١٢٦٠هـ ١٨٤٤ م ، وهناك أكب على الدرس والمطالعة والتأليف والتعليم وهوشيخ ، وقد أفاد أهل المدينة من وجوه كثيرة ، وكان الغرض الذى ينشده هو أن يؤسس كلية إسلامية فقهية تكون بمثابة كعبة للعلوم الدينية يؤمها جميع الطلاب المسلمين من أقصى أطراف المعمور وذلك لإنارة أذهانهم وتوسيع نطاق معرفتهم بيد أن المنية أنشبت أظفارها به قبل بلوغ المرام فى سنة ١٢٧٧هـ ١٨٥١ م وقد عظم موته على جميع معارفه ومحبيه لما كان له من الدالة عليهم والمنزلة الرفيعة بين ظهرانيهم ودفن بحذاء مدفن عثمان بن عفان ، وقد أوصى قبيل موته أن لا تبنى قبة على ضريحه بل أن ينصب شباكا من الحديد حول قبره ووقف فى المدينة بستانه العامر المسمى بالداودية ، وكان قد أرّخ بناءه وغرس أشجاره الشيخ صالح التميمى بقصيدة عامرة الأبيات فأعجب بها الوزير غاية الإعجاب حتى أنقده ألف ريال ، وكان رحمه الله ندى الكف للعلماء والشعراء والأدباء ، وقد غمر الكثيرين منهم بالجوائز والصلات السنية مقتدياً بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يسبغون العطاء على أرباب العلم والأدب .

ومما يجدر بنا أن نجعله مسك الختام لسيرة هذا العالم العامل هو إنشاؤه خزانة كتب فى المدينة وقد جمع فيها طائفة كبيرة من التصانيف على اختلاف موضوعاتها وبينها مخطوطات عديدة ، وإن أردنا أن نلمّ بكل الاصلاحات التى قام بها فى بغداد والآستانة ضاق بنا المقام عن نشرها ، ولما نعته الصحف رثاه شعراء عصره من عراقيين وسوريين بقصائد عددت مناقبه الحميدة وما كان له من الهمة الشماء واليد البيضاء فى نشر العلم والأدب فى الأقطار العربية . وقد جمع أحد أدباء بغداد كل القصائد التى نظمت فى مدحه والثناء على عبقريته وهذا الكتاب لا يزال خطاً .

(بغداد) رزوق عيسى

في مهرجان جامعة أدباء العروبة بالفيوم

إلى رياض الفيوم

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

من لِسارٍ إليك يطوي الصحارى   هزَّه الشوقُ أن يزورَ فزارا
عابراً كالطيوف، ولهانَ كالأنـسام
هيمان كالأماني الحيـــارى
مُجهَداً، عَلَّ في ظلالك مأوى   قلقاً عـــلَّ في رُباك قرارا
صادياً ، علَّ في سرابك ماء   ساهداً ، علَّ في دجاكِ نهارا
يا جنان الفيوم ، نازحُ أيكٍ   بان عن عشِّه إليكِ وطارا
قد خلا العش من رفيق صباه   فمتى تألفُ القطاةُ الهَزارا ؟
نسلتْ ريشَه الليالي طوالا   أترى تصبح الليالي قصارا ؟
يعبرُ الليل في خداع الأماني   وتُغـــني آصاله الأسحارا
ويناغي دراريَ الليـل حتى   تتوارى فيَشهدُ الأقمـــارا
ويناجي الصَّدى البعيد بعود   شُـــدَّ أضلاعه به أوتارا
آراءِ هنـــا سيمسي قريراً   في رياض الفيوم ، طابت جوارا
ياعذارى الرياض من كلِّ شادٍ   أنا أشكو إلى العذارى العذارى
لست بالصادح الذي سئم الصدْ   ح وعاف الأسمـــار والسُّمارا
غير أن القيثار أغفى فمن ذا   غيرها موقظٌ ليَ القيثارا ؟ !
أنا أشدُو لها جراحي شعراً   فعساها تُضمِّدُ الأشعارا
وعساها في جانب النيل تُصغي   لِنشيد يشعُّ نوراً وناراً
ذكرتني هنــــا بحيرة قارو   ن به والدجى يحوك الستارا
والشَّوادي من حولنا مرهفات   سمعَها يستبيننا الأسرارا
وأنا الشاعر الذي أطلق الرو   ح شراعاً يغالبُ التيـــارا
كيف أخشى من أن يضل شراعي   والجبين الوضّاء أمسى منارا
والتي قد تخِذتُها مجدافي   خُصَلَ أرسلتْ عليَّ نثارا
والشريدان يذهبان مع المو   ج يميناً ، ويرجعان ، يسارا
يقذفان الأنفاس لفحَ سعير   يفسم الجو شعلة وأوارا
وهتافاً في ضفة النيل يسرى   مقلةً ثرةً ، وقلباً مطارا
يا أحبايَ والديار تنـــاءت   كيف أنسى أحبتي والديارا ؟
لست أنسى ملاعبي والضفاف الخضر
تجري من تحتهنَّ نُضارا
لست أنسى بها مواثيق عشنا   نتحدَّى بصدقها الأقدارا
لست أنسى ولا إخالك تنسين   حتى متى نُطيق انتظارا

قافلة الشعر

[مهداة إلى أدباء العروبة في الفيوم]

للاستاذ طاهر محمد أبو فاشا

موكب للبيـان فيـه اللواء   يفرَع الدهرَ وخدُهُ ، والحداء
ضاربٌ في صحرائها يسبق الركْـ   بَ جلال من هدْيه ، ورواء
مثلما يسبق الشعاعُ إذا ما   أعلن الصبحَ للوجود ذُكاء
الطريقَ الطريقَ : قافلة الشعـ   ـر ، وركبُ الوزير ، والشعراء
لو تحسُّ البيداء من سار فيها   لتغنَّتْ من شجوها البيداء
شاعر في محرابه يُعبدُ الفـ   ـن ، وتستهدي ضوءه الأضواء
ذو بيانٍ لو عاقرته الندامى   لتناهتْ عن شربها الندماء
وهتوف يكاد يشرق في الأ   حانه الخير ، والمنى ، والرجاء !
ومن الشعر ما يبشِّر بالرحـ   ـمة دنيـا طغى عليها الشقاء
ومن الشعر ما يملك الخلـ   ـق إذا موَّه الوجودَ الرياء
ربما استمنت الحياة عن العلـ   ـم على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجدا   دُك دهراً وهم به سعداء !
إن من أطلقوا العقول علينا
لست تدرى : أأحسنوا أم أساءوا ؟
والذي ظنها تراباً ، وماء   هو - في نفسه - تراب ، وماء !!
شدَّ ما تجنح الحياة إلى الرُّو   ح وإن كان في الطريق التواء

موكب للبيان فيـه اللواء   ترصد الأرضُ وخدَه والسماء
فيـه من طاقة البديع أفا   ينُ ، وفيه الأبدال ، والأدباء
(أجمعوا أمرهم عشـــاء فلما   أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء)
والوزير الضخم المبين مع الركـ   ـب دليلٌ برأيه يستضاء !
شخصت حوله النواظرُ حتى   قال: سيروا ... فكان هذا اللقاء
وإذا نحن في رياضٍ من الشعـ   ـر لها رونق ، وفيها صفاء
طرق الشعر بابها ، فاذا شعـ   ـر يقول: ادخلوا.. وطاب الثواء
رحمُ الفن ... أو القرابة في الرو   ح وما كان بيننا غرباء ...
فسبأنا راووقها وشربنـــا   من رحيق مُنغَّم ما نشاء
وسقينا بجامـــه شعراء   وسقانا أولئـــك الشعراء
من أديب يبلُّ قلب أديبٍ   وفصيح تحفى به فصحاء
صلة وثَّقَ البيان عُراها   ونماهـــا ... فكلنا أقرباء
جمع الشعر بيننـا في صعيد   ومن الشعر منسب وإخاء

في روضـــــات الفيوم

للاســـــتاذ العوضى الوكيل

حدَا الركبَ حاديه فأين مكانيا … أُبين من الأشواق ما كان خافيَا
على شفتى من خمرة الحب نشوة … تلهَّب ترنيمى بها وغنائيا
لنا ذكريات فى الليالى بعيدة … ألا من يُعيد اليوم تلك اللياليا
أطلُّ عليها والسُّنون ستائرٌ … وينفك قلبى شاخص الحس رانيا

لياليَ نطوى الليل ، والصبح بعده … فيطويهما قولا ، وأطويه صاغيا
وآخذُ أزوادَ النشيد مَلاحماً … وأقبسُ أحلام الفؤاد معانيا
وقد زعموا لحظَ الأحبة قاتلا … فما بالهُ قد كان للجرح شافيا ؟!

وما يستتيه القلب إلا هواتفٌ … تطيل على بُعد الزمان نجائيا
فتأخذنى منها خوالفُ نشوة … ترى الزمن الماضى من العمر آنيا
فأحيا على أنى دنوتُ من المنى … وما كنتُ لولا أن تذكرت دانيا

سقى الله فى الفيُّوم روضات فتنة … ونضَّر فيها أربُماً ومغانيا
تخيَّلتها مِنىً فلما رأيتها … حسبتُ كأنى جئتها اليوم ثانيا
فراديسُ : منضورٌ بها الظل والجنى … تألَّقُ نوّاراً وتسحرُ شاديا
وأين السَّواق والنسيم يديرها … وإن كان خفّاقا ، وإن كان وانيا !
وأين الطيور البيض أمَّتْ بحيرة … ترامتْ على صدْر الفلاة ترامِيا
تسرْ إلى الشطآن بالحب والهوى … وتوسِعُها فرطَ الغرام تناجيا
وتأخذ من روادها كل لهفة … فترسلها لحناً مع النسْمِ ساريا

سقى الله فى الفيوم روضات فتنة … ونضَّرَ فيها أربُماً ومغانيا
هدانا إليها فى السَّباسب طيبُها … على أن برْحَ الشوق قد كان هاديا
فجئنا لإخوانٍ كرامٍ وصحبة … سقوْنا من الود المطهر صافيا
إذا ما انتسبنا فالعروبة منسبٌ … طوانا كما يطوى القصيد القوافيا
بناءٌ على الأخلاق يُدعم أسُّه … وحسبك أن كان الدسوقىُّ بانيا

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة الروسية والشرق العربي :

إجابة لدعوة من الحكومة السوفيتية تسافر فى هذا الأسبوع بعثتان ثقافيتان إلى روسيا ، إحداهما من سوريا ، والأخرى من لبنان ، وسيقوم أعضاء هاتين البعثتين بزيارة أنحاء الاتحاد السوفيتى للوقوف على مظاهر النشاط الثقافى والعلمى هناك .

هذا هو النبأ الذى أذاعته وكالات الأنباء البرقية ، وهو نبأ يدل دلالة واضحة على ما تتجه إليه روسيا اتجاها جديداً واسع النطاق فى الدعاية لثقافتها فى الشرق العربى ، ووصل عناصر هذه الثقافة واتجاهاتها بتفكير أبناء العروبة واتجاهاتهم العلمية والأدبية .

وإنها فى الواقع لفرصة تنتهزها روسيا فى الآونة الحاضرة ، فقد مضت أحقاب طويلة والثقافة الروسية معزولة عن الشرق العربى بسد حصين أقامته السياسة والأوضاع الدولية ، ففى القديم كانت روسيا هى العدو اللدود لتركيا ، ولما كانت تركيا هى المسيطرة على الشرق العربى يومذاك فقد كان أبناء هذا الشرق ينظرون إلى روسيا نظرة بغض وشحناء ، فلم تستطع الثقافة الروسية من خلال هذا أن تنفذ إلى نفوسهم وتفكيرهم ، وحاولت روسيا أن تتلافى هذا وأن تجد له الأسباب والوسائل فأنشأت فرعا للاستشراق والدراسات العربية والإسلامية بجامعة « بطرسبرج » ، واستقدمت من الشرق العربى الأساتذة لتدريس العلوم العربية ، وكان من هؤلاء الأساتذة الشيخ النشرتى والشيخ محمد عياد الطنطاوى من مصر ، والسيد سليم نوفل من لبنان ، ولكن هذا العمل كله كان ضعيف الأثر ، ولم يعن أبناء الشرق بشىء من مآثر الثقافة الروسية واتجاهاتها إلا بما كان من مآثر الفيلسوف الروسى المشهور « تولستوى » لأنه جنح إلى حياة صوفية تلائم الروح الشرقية ، ولأنه كتب كتابة طيبة عن النبى محمد صلوات الله عليه حمدها أبناء الشرق .

وبعد الحرب العالمية الأولى وقع الشرق العربى جميعه تحت

سيطرة الإنجليز والفرنسيين ، ونظراً للفكرة الشيوعية التي تمخضت عنها الثورة الروسية فقد قام هؤلاء بتحصين الشرق العربي تحصينا منيعاً أمام الثقافة الروسية وكل اتجاه روسي ، ولم يكن يصل إلى الأقطار العربية من عناصر الثقافة الروسية إلا بضع قصص كانت تأتي عن طريق البريد الإنجليزي والفرنسي مؤداة باللغة الانجليزية والفرنسية .

ولما قامت الحرب العالمية الأخيرة ، وقضت تطوراتها بانضمام روسيا إلى الحلفاء ، وجدت روسيا الفرصة السانحة للاتصال بالشرق العربي عن قرب ؛ فتبادلت التمثيل السياسي مع دوله ، وغمر طوفان الدعاية الروسية بلاده ، وكان أن ظهرت في اللغة العربية ألوان كثيرة من الثقافة الروسية في شتى نواحي العلم والأدب والفن ، وتعتبر سوريا ولبنان أفسح مجال لهذا النشاط اليوم.

فإذا كانت روسيا اليوم تستقدم البعوث من أبناء الشرق العربي للوقوف على مظاهر النشاط الثقافي في بلادها ، وإذا كانت هي ترسل البعوث الثقافية من جانبها لارتياد الشرق ، فذلك لأنها تريد أن تستغل الفرصة على أوسع مدى في إيجاد تيار للثقافة الروسية بالشرق العربي إلى جانب تيارات الثقافات الانجليزية والفرنسية والأمريكية ، وكل ما نرجو للشرق العربي أن يجد شخصية وذاتية في مهب هذه التيارات العنيفة .

الأدب العربي في القرن العشرين :

هذا عنوان كتاب أخرجه حديثاً المستشرق الروسي الشهير « يوليفتش كراتشكوفسكي » تناول فيه بالبحث والتحليل التيارات الأدبية في العالم العربي ومؤلفات الكتاب العرب البارزين ، وعقد فصلا خاصاً للحديث عن الأدباء المصريين الذين امتد تأثيرهم إلى العراق وسوريا والأقطار العربية المختلفة ، وختم الكتاب بفصل مطول عن المؤلفات التي ظهرت لكتاب العرب في مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، كما تحدث في هذا الفصل عن قصائد الشعراء العرب في الموضوعات الحربية وما نظم منها خاصة في تمجيد بطولة « ستالينجراد » .

و « كراتشكوفسكي » وثيق الصلة بالشرق العربي من قديم ، وله صداقات كثيرة بعلماء العربية ورجال الأدب العربي ، فقد قام برحلة طويلة إلى الأقطار العربية في عام ١٩٠٨ ، فزار مكتباتها وتعرف برجالها ، ونسخ كثيراً من المخطوطات النادرة ، وهو الآن عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق .

وقد نشر « كراتشكوفسكي » كثيراً من الآثار العربية النادرة بعد أن قام بتصحيحها واستكمالها ، وفي عام ١٩٣٠ ألف كتاباً خاصاً عن الشيخ عياد الطنطاوي الذي سافر من مصر لتدريس اللغة العربية في روسيا فعاش هناك من عام ١٨٤٧ حتى عام ١٨٦١ وتوفي ودفن هناك ، وفي العام الماضي أخرج كتاباً طريفاً بعنوان « مع المخطوطات العربية» ، وقد تحدث فيه حديثاً قصصياً خلاباً عن رحلته إلى بلاد الشرق العربي وما وقع له من النوادر في البحث عن المخطوطات النادرة وما وفق إلى اكتشافه من هذه المخطوطات .

فالمستشرق « كراتشوفسكي » وثيق الصلة بالأدب العربي القديم والحديث ، وقد عاصره عن قرب أكثر من أربعين عاماً ، فاذا ما تحدث عن « الأدب العربي في القرن العشرين » فلا شك أن حديثه حديث العالم الخبير .

المجمع العربي بدمشق :

يعتبر القسط الذي نهض به المجمع العلمي العربي بدمشق في خدمة التراث العربي وبعثه ، قسطا واسع المدى محمود الأثر ، فقد نشر هذا المجمع كثيرا من النوادر المطمورة ، وجمع كثيراً من المخطوطات الغالية التي بعثرتها واستبدت بها أحداث الزمن وعوادي الأيام ، وكان آخر ما أخرج في هذه الناحية ديوان الشاعر ابن عنين الذي قام بتصحيحه وشرحه الشاعر الأديب خليل مردم بك الأمين العام للمجمع ، ثم كتاب : « المستجاد من فعلات الأجواد » لعبد المحسن بن علي التنوخي وهو يشتمل على أخبار الأجواد ومآثرهم في الجاهلية والإسلام ، وقد عني بتصحيح هذا الكتاب وتحقيقه الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع وعضو المجمع اللغوي بمصر .

ونحن إذ نشيد بأثر المجمع العلمي الدمشقي في هذا ، نرجوا أن يحرص على تعميم آثاره ومطبوعاته في العالم العربي ، وأن ييسر الحصول عليها لأبناء العربية ، وذلك بانشاء مكاتب فرعية

له تقوم بعرض هذه الآثار فى كل قطر ، فإن كثيراً من الباحثين وأساتذة الجامعات والمعاهد وطلابها ، يعنيهم أن يحصلوا على آثاره ومطبوعاته .

الأخطل الصغير :

من أخبار بيروت أن الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخورى المعروف باسم « الأخطل الصغير » قد اعتزم ترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب اللبنانى فى المعركة الانتخابية القادمة ، وقد علقت إحدى الصحف البيروتية على هذا النبأ قائلة فى سخرية خفية : « إن الأخطل الصغير سيرشح نفسه معتمداً على سمعته الأدبية ، ورأس ماله فى الشعر والأدب ... » .

وأى غرابة بربكم أيها الناس فى أن يكون الأدب طريقاً للنيابة ومرشحاً لها ! أليس للأديب والشعر فى خدمة الفن والثقافة وتهذيب العواطف الإنسانية ، ما هو أجدى وأنفع من مال ضخم يملكه حيوان آدمى لا يرضيه إلا أن يمشى على الرؤوس والرقاب ، وأن يحتل على كراسى النيابة أكبر فراغ بكرشه المدلى وأوداجه المنفوخة ؟ !

إن للأخطل الصغير مئات الأبيات التى تعمر أفئدة الآلاف من أبناء العروبة ، وتردد ألسنتهم نبراتها ومقاطعها فى شغف وسحر ، ترى لو أن له بيتا أو بيتين يسكنهما الناس بالكراء ، ويدران عليه وفير المال كان ذلك أجدى فى نظر أولئك المستهزئين وكانت أصوات المتملقين ترتفع : يجب على « النيابة » أن تسعى إليه ، وأن تركع عند قدميه .

لقد آن لنا أن نفهم أن « النيابة » رسالة إنسانية قبل كل شىء ، رسالة قوامها العواطف المهذبة الشريفة ، ويوم أن ترسخ هذه العقيدة فى نفوسنا ، سنرى أن أولى الناس بهذه الرسالة « الأخطل الصغير » ، وإخوانه من الشعراء والأدباء وحملة المشاعل الإنسانية .

هذه السينما وهذا الفهم .

« من أخلاق الصغار تقليد الكبار ، ومن أخلاق الأمم الضعيفة الإفتتان بكل ما يصدر عن الأمم القوية ، ونحن كأمة ناشئة ، ضعيفة ، أخنى عليها الاستبداد طويلا ، ورسفت فى قيود الجمود قرونا ، نميل إلى التقليد ونسعى إليه سعى المستميت ، ولكن أغلب تقليدنا فى القشور دون اللباب ، وفى العرض لا فى الجوهر » ... ! !

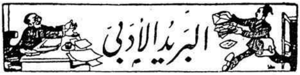
« ولنخص بالقول هنا السينما ، هذه الدنيا الزاخرة الموارة التى أقبلنا عليها إقبال الصادى على المنهل المذب ، فلم نتقيد بواجب أو نحتط لمحذور ، فكان من أثر هذه الشراهة وهذا التفريط أن أصيبت نفوس ناشئتنا المعززة الغريرة ونسائنا الساذجات بعادات وخلائق ليس بينها وبين عاداتنا وخلائقنا الأصيلة النبيلة أى ارتباط أو صلة ، فهبط المستوى الخلقى والأدبى إلى حيث لا ينفع النصح والإرشاد . وإن تسعة وتسعين فى المائة من هذا الهبوط والتدنى قد جاءنا عن طريق هذه السينما اللعينة التى يعب عشاقها وروادها من شرورها ومساوئها ولا يستوحون منها غير ما يسمم العقول والنوازع لأن فكرة الأفلام لم تستوح إلا تملق غرائز الجماهير واستهوائهم » .

« فماذا يمنع حكومتنا ووزارة الداخلية خاصة ، أن تقلد الحكومات الراقية فى فرض لجان من أهل الرأى والثقافة والغيرة لتراقب كل « فلم » ينقل إلى بلادنا ، وماذا يمنعها أن تتقدم إلى أرباب صالات الصور المتحركة بأن يمنعوا القاصرين من أطفالنا ، وكذلك الجنس اللطيف من غشيان دورهم إلا فى عرض روايات خاصة تخلو مما لا يتفق والمدارك الساذجة والعفة المصونة ؟ ! لماذا لا تعمد الحكومة إلى هذا ؟ وإلى متى تحلل كل ما يسىء إلى أخلاقنا وآدابنا باسم الحرية الشخصية وباسم التمدين الحديث ؟ ! »

قرأت هذه الكلمة لكاتب أديب فى جريدة « القبس » السورية فقلت يظهر أن العلة شائعة فى أقطار الشرق العربى فى النكبة بتلك الأفلام التى يسمونها فنا ، وما هى فى الواقع إلا استهتار رخيص وتملق سافر لأحط الغرائز فى الجماهير ! وإن هذا الذى يقال فى سوريا هو الذى يقال أيضا لحكومتنا فى مصر .

فأن الأفلام السينمائية التى تعرض فى مصر والشرق لم تعد بحال من الأحوال أداة للثقافة وتهذيب العواطف ، بل إنها عدوة لكل ثقافة وتهذيب ، ومعول مسلط على أخلاقنا وتقاليدنا وقوميتنا ، سواء فى ذلك الأفلام المحلية أو الوافدة من الخارج ، ولقد بحت الأصوات فى الإهابة بالمسئولين أن يفزعوا لهذا الخطر ولكن القائمين بتلك الأفلام يملكون من المال ما يغرى ، ويقدمون من الوسائل ما يحطم كل رقابة ... وهيهات ! !

« الجاحظ »



الكتاب المريب :

مجلة « المقتطف » من المجلات العزيزة على كل مثقف ، يعرف تاريخها المجيد ، وتقاليدها العلمية النبيلة ولكنها — مع الأسف — تعانى فى هذه الأيام أزمة قاتلة من هذه الناحية ، كما أنها تحتضر وتوشك على البوار . وذلك من جراء إشراف الأستاذ إسماعيل مظهر عليها ، بعد ما كان يشرف عليها من قبل من يعرفون كيف يحافظون على تلك التقاليد .

ولقد كان من أول هذه التقاليد ألا تشتم الناس ، وألا تهاتر مهاترات الوريقات الرخيصة ، فجاء الأستاذ مظهر يحيد بها عن منهجها ، ويقودها إلى الموت الوشيك الذى يأسف له كل من أحبوا هذه المجلة فى تاريخها الطويل . أولئك الذين يرجون الله أن يقيض لها من ينتشلها من وهدتها ، فلا تصير إلى ما صارت إليه « مجلة العصور » على يد الأستاذ رئيس التحرير !

ولقد سمح الأستاذ مظهر أن ينشر فى العدد الأخير من المقتطف شتيمة واطية لجميع من تعرضوا لنقد ذلك الكتاب المريب : « الأغلال » ومن بينهم كاتب هذه السطور . وسواء كان هذا الذى نشر من قلمه ، وقد خزى أن يوقعه ، فرمز إلى نفسه بتوقيع « مسلم حر » . أو كان بقلم ذلك الرجل المريب صاحب الكتاب — كما يبدو — فإن الأستاذ مظهر هو المسئول عن تمريغ المقتطف فى هذا الوحل .

وكل ما قاله كلام مضحك . وهو منشور فى مجلة محتضرة — بفضل رئيس التحرير — فلأعد له نشره فى مجلة يقرؤها الناس ، فلعل هذا يرضيه ، ولعله كذلك يضحك القراء .

قال الرجل المريب أو قال رئيس التحرير :

« وثمة خصم ثالث لهذا الكتاب . وهو رجل يتعاطى صناعة الأدب الصناعى ؛ ولكن مقاومته لهذا الكتاب ، والأسلوب الذى اختاره للمقاومة ، كانا برهانين على براءته من كل صلة بالأدب بكل معانيه ومبانيه » .

أفادكم الله يا مولانا ! ! !

لقد انتهى « سيد قطب » ، فما عاد له فى عالم الأدب وجود ، بعد هذا الكلام المفيد . فلا حول ولا قوة إلا بالله !

* * *

أما بعد ، فذلك الكتاب المريب قد انتهى . واسأل يا مولانا من شئت من الناس ، فستعلم صدق هذا الذى أقول . انتهى لا لأننى كتبت عنه كلمة أو أكثر . ولكن لأننى « كشفت » فقط عن مدى « نظافته » وعن جرائم الفناء فيه !

ولست — بعد هذا — أوافق على إيصال الأذى الشخصى لصاحبه ، كما اقترح بعض النجديين والمصريين ، فهو وصاحبه أهون من ذلك جدا . وليس الإيذاء الشخصى علاجا وأنا أكره مصادرة حرية الناس الفكرية ، ولو كان الذى يكتبونه تفيح منه روائح غير نظيفة فالموت الأدبى الذى لقيه الكتاب وصاحبه يكفى ، ما لم تثبت على الرجل جريمة أخرى غير نظيفة يتناولها القانون العادى ، وإنى لأحسبه أحرص من أن يترك أدلة مادية !

أما أنت يا أستاذ مظهر — وأنا أحييك باسمك ولقبك ولا أشير إليك كما أشرت إلى ، لأن الأدب الواجب يحتم على الناس المؤدبين ذلك — أما أنت فأنا شديد الرثاء لك .

إننى أعلم تلك العقدة النفسية التى توجهك . إنها عقدة الفشل ، الفشل فى كل مشروع هممت به . وأنت تعزو إلى رجال الدين تبعة هذا الفشل فى حياتك ... فكل شتم للدين ورجاله يغذى هذه العقدة فيك . فلا تسأل بعدها إن كان نظيفا أو غير نظيف ، محقا أو غير محق . ومن هنا تعصبك لكتاب مريب وكتاب غير نظيف وأنت فى هذا تستحق المرثية ، فالكتاب لا يحارب الدين وحده ، ولكنه ينعى على كل خلق نظيف ، ويسمى الضمير والخلق والمروءة وما إليها « أغلالا » ، ثم يهدف إلى إخضاعنا الدائم للمستعمرين . والناس يعرفون من ماضى الرجل وتاريخه ما يخزى ، ويعرفون ما لا أستطيع نشره لأنه يقع تحت طائلة القانون ، وأنت مندفع مع عقدتك النفسية . فالله يرحمك ويرحم المقتطف والسلام .

سيد قطب

كلمة في بيت :

قرأت كلمة الأستاذ محمد أحمد عيد في عدد الرسالة (٧٠٧) تصحيحاً لخطأ وقعت فيه في نص قول الشاعر : « فقالت من أي الناس أنت ؟ ومن تكن ؟ » إذ جعلت : « من تكن » استفهاماً وهو شرط ، كأنه قال : «ومهما تكن ، فإنك راعي صرمة لا يزينها » . والبيت بهذا التصحيح أدق معنى وأبلغ في سياقة العاطفة التي أوحت بالشعر . ويكون قولي في شرحه أيضاً خطأ . وأنا لا أزال أشكر الأخ الكريم على حسن تسديده للمخطيء ، وكمال أدبه في دقة القراءة . وقد أحسن إلى من حيث أساء غيره ممن جعلهم الله على مَدْرجة المثل الذي جرى على لسان الأوائل ، والذي وضعوه لمن يضع نفسه حيث لا يستأهل ، وهو قولهم : « متى كان حكم الله في كرَب النخل !! » .

على أني أحب أن أقول قولا آخر أخشى أن يكون له وجه وإن كنت أوثر هنا القول الأول ، وهو أن هذا الفعل كـكثير من الأفعال التي كثر استعمالها ، قد تلعّبت به العرب لكثرة دورانه على ألسنتها ، حتى حذفوا منه الحرف الذي لا يحذف من أمثاله كقولهم « لم يك » في « لم يكن » وهو حرف من نفس الفعل . فلست أرى ما يمنع هذه العرب الجريئة الألسنة ، أن تلعب به في الاستفهام في قولك : « من تكونُ ؟ » ، فإنها إذا وقفت عليه كما تقف على قولك : « من تعرفْ ؟ » وهي تنوى الرفع ، فيكون عندئذ « من تكونْ ؟ » فتحذف أضعف أحرفه لالتقاء الساكنين فتقول : « من تكنْ ؟ » في الاستفهام أيضاً .

وقد فعلت العرب مثل ذلك في قولك : « لم أبالِ » فتوهمت الوقف على حرف لا وقف فيه لأن أصله « أبالي » المكسورة اللام من نفس الفعل بعد حذف الياء للجزم ، فكانت عندها : « لم أبالْ » فحذفت الحرف المستضعف في الكلمة وهو ألف العلة وقالت : « لم أبَلْ » ، واعتمدت ذلك وجرت عليه في غير الوقف .

وكالذي رُوى عنهم أيضاً (رواه سيبويه وغيره) من قولهم « لا أدرِ » فحذفوا الياء لكثرة استعمالهم له كقولهم : لم أبل ولم يك . قال ابن سيده ونظيره ما حكاه اللحياني عن الكسائي : أقبل يضربه لا يَلُ ، مضموم اللام بلا واو . وقال الأزهري ربما حذفوا الياء من قولهم : « لا أدرِ » في موضع : « لا أدرى » ، يكتفون بالكسرة منها ، كقوله تعالى : « والليل إذا يسرِ » والأصل يسرى . وقال الجوهري بمثل الذي قال به سيبويه أيضاً في تأويل الحذف في « لا أدرِ » . وهناك شواهد أخرى لا خير في الإطالة بذكرها .

فهذا رأى عسى أن يكون فيه وجه من الحق ، ودلالة على مقطع من مقاطع الصواب . فإن العرب أجرأ على لغتها وأعرف بها وبما ينبغي لها وما لا ينبغي . ولولا ما تبعثر من ذخائر الذاكرة لاعتمدت هذا الرأى بشاهد آخر في هذا الحرف بعينه ، كان مر بي فأنسيته . ولعل الأخ يجعل باله إليه عسى أن يجده أو يقع له .

محمود محمد شاكر

طريق الهجرة النبوية :

كتب الأستاذ محمد عبد الوهاب فايد في الرسالة الغراء كلمة وجيزة نقل فيها عن « عيون الأثر » و « مجمع الزوائد » أسماء الأماكن والمواضع التي مر بها ذلك الداعي الكريم محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم ، أثناء هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ؛ وهو بهذه الكلمة يشارك في تحقيق ذلك القصد الجليل وهو تحقيق المواضع التاريخية وتحديد مواضعها ؛ ولكني ألاحظ أن مجرد سرد هذه الأسماء في الكتب أو المقالات ، لا يغني كثيراً ، فنحن نعرف سلسلة طويلة من هذه الأسماء ، ولكنا لو طولبنا بتوضيحها على الخريطة الجغرافية ، أو أردنا العثور عليها في مواضعها الحسية ، لما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ولذلك أرى فيما يتعلق بتحديد هذه المواضع ، ومقابلة أسمائها بمواقعها من البسيطة ، أن تنصرف جهود الباحثين والمؤرخين والعارفين إلى تحقيق « المصورات الجغرافية » التي يوضحون عليها مواقع هذه الأسماء ، وإلى تنظيم الرحلات العلمية إلى هذه المواقع ليصفوا لنا حاضرها ، أو ما أصابها من تغيير بمرور الزمان ، وتتابع الحدثان .

ويسرني أن أزف إلى قراء الرسالة الغراء بشرى طيبة ، وهي أن الأستاذ الفضال الشيخ محمود السيد الحصاني — وهو مدرس بمدرسة التعاون الإنساني بدمنهور ، وقد شاب في سبيل الله

والوطن والتاريخ ، وضحى بالكثير من ماله وأعصابه قد حقق مواضع القرى والآماكن التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، وأفنى فى ذلك سنوات قضاها فى الرحلة والبحث والضبط والاستقصاء ، ورسم بيده خريطة جليلة مضبوطة سماها « خريطة الهجرة النبوية » ؛ وأبان فيها جميع هذه الأماكن ، وعلق عليها بقوله : « ليست خريطة الهجرة مجرد شكل يفرح المتأمل لرؤيته ، ولكنها إرشاد يوحى بأمجد ذكرى لأكبر حادث فى تاريخ البشر ، تغير له وجه الأرض بظهور نور الإسلام على سائر الأديان ، فما كاد صلى الله عليه وسلم يخطو فى طريق هجرته حتى بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدميه على مركز الأرض فحركها ، وكانت خطواته تخط فى الأرض ، ومعانيها تخط فى التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والدينة ، ومعناها بين الشرق والغرب » ! ! ...

وعندى أنه يجب — تقديراً لجهود الأستاذ محمود الحصانى ، وتشجيعا لغيره من الباحثين على متابعة التحقيق والضبط — أن تطبع هذه الخريطة ، بالملايين ، وتوزع على تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد ، ليستفيدوا منها تاريخيا وجغرافيا ، حتى يتسع أفقنا التاريخى ، ونحيط علما بأجزاء وطننا الأكبر ، وسيرة رسولنا الأعظم .

وبمناسبة هذه الكلمة أذكر أن للأستاذ الحصانى خريطة ثانية وضح فيها « مناسك الحج » ، وخريطة ثالثة وضح فيها مشروعا « لتيسير الحج » عن طريق « رأس بناس » الواقع على ساحل البحر الأحمر ، وهو مشروع يجعل الوصول إلى مكة ميسورا فى ثلاثة أيام بالسفر الطبيعي ، ولذلك المشروع الجليل حديث مفصل قد عرضه صاحبه فى مذكرة مطبوعة يرحب بكل من يطلبها منه ، فجزى الله العاملين ! ! ...

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوى

من الأستاذ محمود تيمور بك إلى مؤلف (نهاية الطريق) :

تحيات خالصة مشفوعة بجزيل الشكر على هديتكم النفيسة « نهاية الطريق » وإنى أتقدم إليكم بتهنئتى الصادقة على توفيقكم فى هذه المجموعة الفريدة التى راعى فيها طلاوة أسلوبها وما فيه من عذوبة وسلاسة ، وما حوته فى تضاعيفها من معان طريفة ، وخواطر جديرة بالتقدير والإعجاب .

ولا ريب فى أنكم بهذه الباكورة الأدبية قد قفزتم قفزة ملحوظة فى ميدان الأدب دلت على ما أنتم عليه من نبوغ وتفوق فى كتابة القصة الحديثة ، فأكرر لكم تهنئتى ، وأرجو لكم دوام التوفيق ، شاكرا لكم حسن عواطفكم وجميل التفاتكم .

وتقبلوا خالص مودتى ووافر احترامى .

محمود تيمور



غرامي الأول :

لذة الحب لحظـــة ...

للكاتب الفرنسي موريس دوناى

ترجمة المرحوم الأستاذ يونس السبعاوى

سأحدثكم عن حبي فى أيام شبابى منذ نصف قرن مضى . ومالى لا أعيد تلك الصفحات وأنا أرى هذا الشباب الجديد سابحاً فى عالم بعيد عن الشعر والخيال ؟...

ومن حقه أن يكون كما تراه ، فهو فى زمن أزمات وضيق سدت فى وجهه أبواب الأمل ونشرت على خطواته ظلام اليأس فلم يأمن على المستقبل ولم يطمئن إلى الغد .

منذ نصف قرن مضى كان العهد عهد خيال ، وكان للنساء فى أفكارنا وتصوراتنا مقام غير مقامهن فى هذه الأيام ، ولقد قرأنا الكثير من روايات الغرام ، وكان أدبنا كما قال عنه (بركسون) شهوانى الاتجاه . فلا تقرأ فيه إلا ما يحدثك عن الحب والنساء .

***

عرفت أنجيل فكانت يوم عرفتها فتاة فى الثامنة عشرة ولكنها جمعت نضوج النساء ودل وضعها على أن لها ماضياً ماحاولت أن أسألها عنه . وكانت تعمل فى أحد محال الأزياء وتعيش مع أبوين فقيرين من عامة الناس . ولقد طالما سألت نفسى كيف استطاع هذان الأبوان البسيطان أن يلدا هذه الحسناء البارعة الجمال ! فقد كانت تمثل فى امتشاق قامتها واعتدال جسمها واتساق حركاتها نضرة الربيع فتسبى الناظرين بيدين ورجلين طويلة ناعمة وبشعر أصفر ذهبي وأنف صغير وعينين كبيرتين .

رأيتها لأول مرة فى ثوب فتان وتحدثت إليها فلم أر منها ازوراراً عن أحاديث الأدب ، وهى وإن لم تكن بارعة الثقافة فان لها إلماما بكل ما يتيسر لواحدة من طبقتها من العلوم .

فكنت أنظم فيها الشعر فتقرأه وتلحن ، وما ذا يضيرنى أن تلحن إنجيل وهناك كثير من الفتيات يقرأن الشعر أحسن قراءة فلا يجدن من يقول فيهن شعراً ! وكانت تهوى الفن وملاعب الفنانين وتحب الموسيقى والشعر والرسم فتحب معها الموسيقين والشعراء والرسامين ، ولكنها تفضل الأخيرين لأن هذه الحسناء المفتونة بحسنها يعجبها أن ترى رسمها فى صورة رسام أكثرمما تراه فى أبيات شاعر أو أنغام موسيقى .

وكان لى أصدقاء من الموسيقيين والشعراء والرسامين فعرفتها بهم وأنا فخور ، ولكن الغرور قرين الرعونة كما يقولون ...

وكانت فى أول أيام تعارفنا لا تعرف غير الأناشيد القديمة تعلمتها من روايات سخيفة فتنشدها بصوتها الهادىء الحزين فتخرج على تفاهتها حاملة للسامع كل معانى الحزن والألم ، فأخذت بعد حين تحدثنى عن أحدث الأناشيد وتنشد مالم أكن قد سمعته ، وأصبح صوتها شيئاً آخر غير ذلك الصوت الهادىء الحزين . وقد راعنى هذا منها ولكنى لم أسألها عمن علمها هذا الغناء الجديد .

وسارت أنجيل على هذا المنوال فأصبحت تقرأ أحدث الروايات وأولعت ببعض الكتاب دون أن أدلها عليهم ، فأخذت أتلمس فيها تغيراً ورقياً كنت أعزوهما لتأثيرى عليها فأزداد تيهاً.

ثم أصبحت تتغيب عن مواعيدى كثيراً . ولقد طالما انتظرتها حتى إذا ما دنت ساعة اللقاء جاءنى منها كتابها الأزرق الصغير الذى أعرف خطها فى عنوانه فأفتحه بقلب واجف وأقرأ ما فيه بهلع لأنتهى منه فأعرف ما كنت أخشاه ، وهو أنى حرمت متعتى فى ذلك المساء فتنتابنى الهموم وتساورنى الشكوك فأسأل نفسى أين هى الآن ؟ وماذا تعمل ؟ وأكثر من هذه الأسئلة التى طالما رددها المحبون المظلومون وسألوا فيها عن أحبابهم الغائبين . وأعود إلى غرفتى فأجلس فى مقعدها الوحيد ثم آخذ كتاباً فأحاول أن أقرأ فيه ولكن الأفكار تساورنى من جديد فأسأل نفسى أين هى الآن ؟ وماذا تعمل ؟

ولقد أولعت من أيام الدراسة بالفريد دى موسيه فحفظت له (الليالى) عن ظهر قلب ، وعودت قلبى على احتمال الآلام فكنت أذكر لقاءنا الأول وأيام حبنا الأولى فتأخذنى الأفكار وتمر

الساعات وتكون الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وهكذا أقضى ليلة الفرح المنتظر فى ترح وشجون وأبيت حليف الآلام والهموم.

وكان لى صديق ظريف كنت أتحدث إليه ذات يوم عن الحب والنساء فبادرنى بهذا السؤال :

— أتجتمع كثيراً بأنجيل ؟

— أجتمع بها ولكن أقل مما أريد .

— وهل تحبها ؟

— وكيف لا ؟

— وهل تحبك ؟

— ومن يعرف حقيقة قلوب النساء؟ ولكن أعتقد أنها تحبنى

— وهل أنت واثق من إخلاصها لك ؟

وسكت عند هذا السؤال وسكت معه طويلا ، وكنت أعرف فى هذا الصديق ميلا إلى المزح والنكتة ، فأخذت أحدق فيه عسى أن ألمح عليه علامات المزح فيما يقول فوجدت أثر الجد ظاهراً عليه فغار دمى وزاد ألمى وأحس بهذا منى فأراد التراجع قائلا : إنه لم يقصد شيئاً بما قال . فألححت عليه أن يبوح بما يسر لأنى أريد أن أعرف الحقيقة ، فقد أصبحت من شهور رهين الوساوس والشكوك ، وإن الذى ينقذنى من هذه الشكوك يسدى إلى جميلا لا أنساه مدى الحياة .

فقال على عادته فى المزح : تقصد أنك لا تنسى له هذه الإساءة ما دمت حياً . فقلت له : إنك لا تعرفنى جيداً وإن عليك أن تبوح لى بكل ما تعرف .

وهنا أخذت أصف له آلامى وصفاً صادقاً . فرق لحالى وحمله قلبه الطيب أن ينير الطريق أمام هذا الصديق الأعمى ؛ فراح يصف لى خياناتها وتعلقها الآن بصديق من أصدقائنا لا يخلو من الرقة على ضخامته .

والواقع أنى لم تدهشنى هذه الاخبار فقد أعددت لها نفسى من زمن فأشبعت رغبتى فى معرفة أحوال أنجيل ، ولم يكذبنى صديقى فيما قال فقد سألتها أول مرة رأيتها فيها بعد هذا الحادث وطلبت منها أن تفصح لى عن الحقيقة فإذا بها تثور ثورة اللبؤة الغضبة وتركتنى بلا كلام ولا سلام .

فعدت لنفسى وقلت إنى قد أكون مخطئاً فى حكمى ، وإن من الخير لى أن أعرف الخبر اليقين من صديقها الجديد . فعثرت عليه فى ليلة حالكة من ليالى الشتاء ودام بيننا الحديث ساعة أو يزيد وكنت أكلم هذا الناقس السعيد بصراحة تامة آملا أن يصارحنى بمثلها ولكنه أخذ يفند ما اتهمته به ويقسم أنه لا يعرف شيئاً مما قلت ، وإن علاقته بأنجيل علاقة صداقة لا غير ، ولكن اضطرابه واحمراره ومغالاته فى التظاهر بالبراءة حملتنى على الاعتقاد بأنه يكذب فيما يقول .